www.kassioun.org

925

الإثنين 05 آب 2019

حزب الإرادة الشعبية

كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

أسبوعية - 24 صفحة ● الثمن «50» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: general@kassioun.org

أستانا 13... ما الذي تحقق؟

[06]

الافتتاحية

أستانا 13: خطوة جديدة على طريق الحل

اختتمت الجولة 13 من أستانا أعمالها يوم الجمعة الفائت، مثبّتة الخط العام لاجتماعات أستانا، والساعي إلى استكمال فكفكة العقد العسكرية لفتح الباب واسعاً أمام الحل السياسي.

ثبّتت الجولة الأخيرة اتفاق سوتشي حول إدلب ومحيطها، وضرورة تأمين منطقة خالية من الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والعناصر المصنفة إرهابية بعمق 20 كم، تمهيداً لفتح الطريقين M4 وM5. وجرى ذلك من خلال العمل على محورين متوازيين: وقف إطلاق نارٍ لا يشمل النصرة ومن يتحالف معها، بمعنى أنه يرفع الغطاء عمّن يضع نفسه في صفوف النصرة موارباً أو علناً، بما يُسرّع عملية فصل النصرة عن غيرها، إضافة إلى رفع الضغط على الأتراك مع تحديد مهلة زمنية قصيرة لتنفيذ المطلوب، وهو ما سيظهر في وقت قريب عبر إجراءات ملموسة.

إنّ ما يساق من دعاية ضد الجولة الأخيرة من أستانا، من باب عدم إنجازها لملف اللجنة الدستورية، ليس سوى تضليل مفضوح؛ فثلاثي أستانا لم يدّع لنفسه يوماً، أن من صلاحياته البت منفرداً في ملف سياسي كملف اللجنة الدستورية، بل أكد مراراً أنّ الهدف الأساس من هذه الاجتماعات هو حلحلة الشؤون العسكرية، بما يسمح بالتقدم بشكل متوازٍ في الشؤون السياسية.

إنّ الخلط بين المسارين، إذا تركنا جانباً أولئك الذي يستخدمون الموضوع لأغراض الدعاية السياسية البحتة المعادية لأستانا، له ما يفسره؛ فقد بات من المعتاد أن تجري دفعة صغيرة للملف السياسي بعد كل جولة من جولات أستانا، وهذا ناجم مباشرة عن أن كل خطوة تجري في أستانا لتقليص حجم المعيقات العسكرية، تنعكس سريعاً تقدماً سياسياً.

إنّ ما ينبغي أن يكون واضحاً بخصوص اللجنة الدستورية، هو ارتباطها العميق بالملفات الأخرى، وخاصة إدلب والشمال الشرقي، ولكن هذا الارتباط لا يعني اشتراط أحدها للآخر بشكل كامل؛ أي أنه لا يعني أنّ اللجنة الدستورية لن تظهر حتى تنتهي تلك الملفات، ولا يعني أيضاً أنّ تلك الملفات لن يبدأ حلها قبل أن تظهر اللجنة الدستورية. الواقع، هو أنّ الحل يجري كما أكدنا سابقاً، خطوة خطوة وعلى التوازي في كل الملفات. ولكن هذا لا ينتقص من أهمية إعلان اللجنة التي ستشكل مفتاحاً للعملية السياسية بوصفها أول إجراء سياسي ملموس ضمن التنفيذ الشامل للقرار 2254.

بالتوازي أيضاً، فإنّ ملف الشمال الشرقي، وإن لم يُقل الكثير بشكل علني حوله في أستانا، إلا أنّ التصريحات المختلفة، تشير إلى أنّ حجم التوافق بين ثلاثي أستانا حول هذا الملف، يكاد يكون أعلى من حجم توافقاتهم على كل الملفات الأخرى، وبهذا المعنى، فإنّ كل حديث عن «منطقة آمنة»، بالتوافق مع الأمريكي أو ضد إرادته، هو حديث لا مكان واقعياً لتنفيذه، بل سيؤدي ضمن سلّة أدوات أخرى، إلى تعزيز الضغط على الأمريكي وحلفائه، لتسريع إخراجه الكامل من سورية، والذي بات محسوماً بمعنى موازين القوى، والبحث جارٍ عن طريقة تنفيذه.

في ظل ذلك كله، فإنّ الخيبة الغربية المتعاظمة مع كل اجتماع جديد لأستانا، بات من الطبيعي النظر إليها، كنتيجة دائمة لكل اجتماعٍ من هذه الاجتماعات...

شؤون عمالية

قانون جديد لفضاء جديد «1»

02

شؤون محلية

محاربة الفساد وشريحة المُعطلين

08

شؤون اقتصادية

الصادرات السورية: خام - ومتراجعة

14

شؤون استراتيجية

تفكيك منظومة الدولار اتجاه عالمي لا رجعة فيه

20

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

منظمة العمل الدولية.. التلاعب بالوعي

ترتكز منظمة العمل الدولية في عملها كما هو مطروح في وثائقها على مبدأ: «أن استقرار السلام في العمل عنصر لا غنى عنه لرخاء العالم» وهي تساعد الرجال والنساء في الحصول على عمل لائق ومثمر في جو من الحرية والمساواة والاطمئنان والكرامة الإنسانية.

الكلام المعبَّر عنه في تلك الوثائق شكلاً يمكن الاتفاق معه، ولكن الحقيقة عكس ما تطرحه وثائق المنظمة الأممية باعتبار أنّ رأس المال المهيمن على الاقتصاد والسياسة هو من يعمل وفقاً لمصالحه على قضية الحرب والسلام، وبالنسبة له هو خضوع الشعوب ومقدراتها لعملية النهب التي تمركز ثروته أكثر، وتجعل الشعوب بحالة كارثية من الفقر والتخلف والجوع، وهذا الكلام المصدَّر لنا لا قيمة له أمام الواقع الذي تعيشه شعوب الجنوب، بما فيها دول الأطراف المحسوبة جغرافياً على القارة الأوروبية، فشعوبها تعاني مثلنا.

منظمة العمل الدولية التي تضم أطراف العملية الإنتاجية الثلاثة: «ممثلي الحكومات وممثلي أرباب العمل وممثلي العمال» ومن ضمنهم هناك عشرة مقاعد دائمة للدول المتقدمة أي: أنّ لهم ميزات لا يتمتع بها بقية الأعضاء بسب تحكمهم بالتمويل الذي تحتاجه المنظمة.

منظمة العمل الدولية في مؤتمراتها تحاول التوفيق بين مصالح من يملك ويقرر، وبين من لا يملك وليس بيده سلطة القرار، وهذا التوفيق المطلوب يمرّ عبر عدد كبير من الأفكار والمصطلحات التي توحي بأنها تحقق مصلحة العمال، مثل: مصطلح العمل اللائق، والحوار الاجتماعي، والمساواة، ودعم الحماية الاجتماعية، وغيرها من المفردات التي لم تُقدَّم للطبقة العاملة- أينما وجدت- سوى تلك المفردات وبقي العمال يواجهون دفاعاً عن حقوقهم المختلفة، وحيدين، وأحياناً كثيرة مقموعين من تلك الوفود الحاضرة للمؤتمرات باعتبارها تمثل الحكومات وأرباب العمل مجتمعين.

إن الواقع على الأرض يتغير من حيث الحراك الواسع الذي تشهده الطبقة العاملة على الصعيد العالمي، وفي الخصوص، في القارة العجوز، وتطور الحراك هذا هو تعبير أيضاً عن التغير في موازين القوى، التي تعني انفتاح الأفق أمام الطبقة العاملة وعموم الفقراء من أجل انتزاع حقوقهم التي سلبتها منهم قوى رأس المال، وطليعة رأس المال المالي الإجرامي، وتعبيراً عن الضرورة الموضوعية لضرورة تغيير واقعهم، ولن يغير من واقع الحراك وتطوره الموضوعي كل ما تقوم به منظمة العمل الدولية من توجهات، وما تقدمه من قرارات في معظمها تصبُّ في مصلحة القوى الرأسمالية الكبرى وأتباعهم المحليّين.

قانون جديد لفضاء جديد «1»

تنتهي صلاحية أي قانون ما، حين يَمسي بمجمل ركائزه ومرتكزاته وموادّه وإجراءاته التنفيذية عاجزاً عن أداء دوره المفترض، بل إن هذه الصلاحية المنتهية تتحول إلى أداة تحت الطلب تُستخدم باستمرار من قبل قوى الإعاقة من أجل إعاقة أي تطور ممكن.

■ هاشم اليعقوبي

ويصبح من المستحيل في أية حال من الأحوال التقدم ولو لخطوة واحدة إلى الأمام، أو على أقل تقدير تفادي التراجع المتلاحق والمستمر، ولأن القوانين بشكل عام هي صناعة زمنها ومرحلتها التاريخية ومجمل الظروف العامة المحيطة بها، فإن قدرتها على الحياة مرتبطة أشد الارتباط بتلك الظروف والمراحل التاريخية، وبما أن بقاء الحال من المحال، وللتاريخ قوانينه الموضوعية ولكل مرحلة شروطها وانعكاساتها الموضوعية، فلا بدّ لكل ذي عقل وحكمة أن يلتقط التغيرات ويُسرع للحاق بحركة المتغيرات المتتالية، ولعل هذه المقدمة المقتضبة تنطبق على ما آلت له أحوال الطبقة العاملة وحركتها النقابية مع القانون الضابط لها، ألا وهو قانون التنظيم النقابي 84 لعام 1968 هذا القانون الذي وُلد في مرحلة تاريخية محددة من تاريخ البلاد لها ظروفها وعواملها المؤثرة، وفضاؤها السياسي الخاص بها، والذي بدأ بالانحسار أمام تشكل الفضاء الجديد.

تغيّر القانون ضروري وغير كافٍ

لقد أعلن قانون التنظيم النقابي عن شيخوخته مراراً وتكراراً، إلّا أنّ هذا الإعلان بمؤشراته الكبرى لم يكن كافياً عند أصحاب القرار للذهاب لتطويره وتعديله، رغم كل مطالبات الحركة النقابية والقوى الممثلة للطبقة العاملة، وليصبح مع مرور العقود من أهم مسببات التراجع الذي أصاب الطبقة العاملة وتنظيمها النقابي، وأعلى متاريس القوى المستفيدة منه، وهذا لا يعني طبعاً بأن التغيير في قانون التنظيم النقابي سينهي المسألة ويحسم الأمور وتدخل الطبقة العاملة للنعيم، لكنه سيكون مفتاحاً أساسياً يضاف إلى مجموع مفاتيح الولوج لفضاء التغيير المطلوب، وعليه فإن المطلوب اليوم من كل القوى العمالية الوطنية أينما كان موقعها واصطفافها السياسي العمل على وضع رؤاها المستقبلية للقانون المناسب للفضاء السياسي الجديد ولمصلحة الطبقة العاملة بأسرها.

من أين نبدأ؟

من أين نبدأ؟ دائماً ما يكون هذا السؤال محور نقاشات العمال والنقابيين الهادفة للوصول للقانون المنشود، ولعل الجواب عن هذا السؤال البسيط يقودنا إلى بناء القانون بأسس متينة دون الانزياح عن الغاية الأساسية، لا بد أن ينطلق القانون من الثابت الأول: ألا وهو ضمان حقوق للعمال، بمعنى آخر ضمان حق العامل في صناعة القرار دون وصاية أو هيمنة أينما كان مصدرها سواء من داخل التنظيم النقابي أو خارجه، وبالتالي ضمان حريته السياسية والنقابية، وهذا بدوره كفيل بصياغة القانون على أرضية ثابتة لا خلل فيها أو فراغ، إن الطامة الكبرى في القانون الحالي تلك المركزية العالية التي قزَّمت إرادة العمال وحدّت من تأثيرها، مما جعل إمكانية مصادرة موقفهم ورأيهم شديدة، والقدرة على الهيمنة على قرارهم أشد، فابتعدوا عن مواقع القرار الحقيقي سواء في قطاع الدولة أو في القطاع الخاص، مما أضعف التنظيم النقابي في مواجهة الخصوم، فقوة أي تنظيم مستمدة من قوة عمّاله وقواعده لا من مصدر آخر.

من تحت لفوق

لا بدّ من الاعتراف بالدرجة الأولى بأهمية القواعد العمالية، وبأن البناء التنظيمي لا بد أن يكون بناءً يعتمد على نظرية «من تحت لفوق» وهنا أيضاً يمكن طرح الأسئلة اللاحقة التي تعتبر ركائز أساسية عند صياغة قانون يمثل مصلحة الطبقة العاملة، ويتناسب مع المرحلة التاريخية والآفاق المنظورة، وعلى رأس تلك الأسئلة: هل من المفيد البقاء على الهيكل التنظيمي الحالي وهل هو مناسب أم يجب تعديله وتطويره بما يتلاءم مع الواقع وبالاستفادة من التراكم الطويل الذي خبرته الحركة النقابية لأكثر من خمسة عقود؟ ما طبيعة الهيئة العامة المفترضة ودورها وكذلك اللجنة النقابية؟ كيف نصيغ قانوناً يستقطب عمال القطاع الخاص؟ وكيف نوقف خسارة التنظيم النقابي لهذه القوة الهائلة؟ وللحديث صلة ....

عمال معمل زنوبيا في خطر!

لم يمضِ بعد سوى عام على آخر حادثة إصابة عمل مميتة، والتي ذهب ضحيتها أحد عمال شركة زنوبيا تجمع الكسوة، بسبب فقدان هذا التجمع إلى أبسط قواعد الأمن الصناعي والصحة والسلامة المهنية الضرورية للعمال، أضف إلى ذلك عدم وجود سيارة إسعاف لحالات الطوارئ التي يتعرض لها العمال خلال عملهم الشاق والمضني وكثير الخطورة، سواء على الأفران أو غيرها من الأقسام، حيث نقل هذا العامل بسيارة بيك أب لا تتمتع بشروط الأمان للإنسان السليم، فما بالكم بإنسان مصاب إصابة خطيرة؟

■ نبيك عبد الفتاح

مع العلم أن هذه الشركة تصنّف من أكبر شركات القطاع الخاص التي تعمل في البلاد، وتضم عدة آلاف من العمال في تجمعي الكسوة وتجمع عدرا الصناعية، أمّا بعض وسائل الوقاية الفردية للعمال المتوفرة في الشركة على محدوديتها وقلتها فهي لا تظهر إلّا في إحدى الحالتين، الأولى: عندما يزور المعمل عناصر تفتيش العمل والتأمينات الاجتماعية التي يعلم رب العمل بزيارتهم قبل وقت مسبق وكاف لأخذ الاحتياطات اللازمة لإظهارٍ توفرها للعمال، ومن ثم يتم سحبها منهم بعد انتهاء هذه الزيارة، التي من المفترض أن تكون مفاجئة لمعرفة الواقع كما هو وعلى حقيقته، أما الحالة الثانية: عند تصوير بعض الإعلانات الدعائية لنشاط الشركة وأهم منتجاتها.

تقول المادة /12/ من اتفاقية العمل الدولية رقم /81/ بشأن تفتيش العمل /1/

يخوّل مفتشو العمل الدخول بحرية ودون إخطار سابق إلى أي موقع خاضع للتفتيش في أية ساعة من ساعات النهار أو الليل. وكذلك جاءت المادة /251/ من قانون العمل رقم /17/ لتؤكد على هذا. كما ألزمت المادة /94/ منه، صاحب العمل 1- أن يوفر وسائل الإسعاف الأولية مهما كان عدد العمال في المنشأة. وأيضاً جاءت المادة 4/95 لتؤكد حق العامل في تأمين ظروف عمل تكفل السلامة والأمان في عمله.

مؤخراً تعرض أحد العمال لإصابة عمل بصعق كهربائي أدى إلى إصابته بحروق خطيرة من الدرجة الثالثة، حيث أصيب العامل محمد الرفاعي أثناء تنفيذه لمهمة تنظيف التابلويات المتحكمة بالأفران التي كُلف بها، مما سبب له حروقاً بالغة نتيجة ذلك وصلت إلى الدرجة الثالثة، وقام زملاؤه بنقله إلى مشفى في منطقة الكسوة لعدم وجود أية نقطة إسعافية أو طبية قريبة من موقع التجمع العمالي، الذي يضم عدة آلاف من العمال لأكثر من منشأة مختلفة في هذا الموقع. ومما زاد الوضع سوءاً لم تستطع تلك المشفى علاج العامل المصاب ووصول الحروق التي تعرض لها العامل نتيجة الصعقة الكهربائية إلى الدرجة الثالثة، والمشفى غير جاهزة لمعالجة مثل هذه الإصابات الخطيرة، مما اضطرهم لإسعافه إلى مشفى المواساة. ولم تمضِ أيام قليلة حتى أصيب عامل أخر أيضاً بإصابة قد تكون مختلفة وهي لف أحد السيور الناقلة على يد هذا العامل ولم يتم تخليص يده إلا بقطع ذلك السير.

إن سبب الحادثة وكل الحوادث التي سبقتها كانت نتيجة تراكم طويل من التقصير والإهمال واللامبالاة بحقوق العمال تتحمل مسؤوليتها إدارة المنشأة، ونقابات العمال، والحكومة على حد سواء، ورغم أن قانون العمل النافذ رقم /17/ قد ألزم صاحب العمل باتخاذ كل الإجراءات الضرورية واللازمة لتحقيق شروط الأمن الصناعي والسلامة والصحة المهنية، وخاصة في المادة /233/ -يلتزم صاحب العمل باتخاذ جميع الاحتياطات المناسبة لحماية جميع عمّاله من مختلف الأخطار الفورية والمزمنة والمؤجلة المرافقة لطبيعة وبيئة وظروف العمل في منشأته، وعليه أن يتبع في ذلك مختلف المعايير والتعليمات الخاصة بحماية عماله والمقررة بموجب القوانين والأنظمة النافذة.

يعتبر اللباس العمالي وتجهيزات الوقاية الفردية ضرورةً ملحةً في المهن الخطرة، وهو ما يفتقده عمال زنوبيا، الذين يقتصر لباسهم على المناسبات عند وجود تفتيش كما ذكرنا آنفاً، والعمال محرومون من «الأفرولات» والحذاء «السيفتي» والضروري جداً في المهن الخطرة. وما زال حتى الآن يتم تسويف حقوق العمال التي يطالبون بها، وخاصة في الأمن الصناعي والسلامة والصحة المهنية عن طريق الوعود، ورغم زيارة لجنة تفتيش العمل مع مندوب الصحة والسلامة المهنية في مؤسسة التأمينات الاجتماعية لمكان التجمع على إثر حادثة وفاة العامل، التي نوهنا عنها آنفاً. والوعود تبقى وعوداً إذا ما استمرت الحكومة والنقابات بصمتهم واستكانتهم للوعود. لعدم تطبيق قواعد الأمن المنصوص عليها في التشريعات النافذة والدولية والعربية بهذا الخصوص. حيث أعطت المادة /236/- من قانون العمل النافذ- الحق للوزير المختص بإغلاق المنشاة التي لا تلتزم بقواعد الأمن الصناعي، وأسس الصحة والسلامة المهنية، دون الإخلال بحقوق العمال في تقاضي أجورهم كاملة خلال فترة الإغلاق أو الإيقاف.

الطبقة العاملة

إضراب عمال السكك الحديدية الإسبانية

أعلن اتحاد العمال في إسبانيا الإضراب في قطاع السكك الحديدية بتاريخ 31 تموز لمدة 8 ساعات، احتجاجاً على زيادة ساعات العمل الإضافي التي تسبب على العمال أعباءً قاسية، نتيجة قلة عدد العمال. هذا إضافة لتدني الأجور، والخدمات المتردية للعاملين. ويُذكر أن عدد العاملين في قطاع السكك الحديدية يتجاوز الأربعة عشرَ ألف عامل، ويخطط اتحاد العمال في إسبانيا لتنفيذ ثلاثة إضرابات أخرى في الشهر المقبل، خلال أيام العطل المزدحمة، حتى يتم تنفيذ مطالبهم. وذكرت إحدى الصحف الإسبانية أن 700 رحلة تم إلغاؤها بسبب إضراب العاملين هذا.

إضراب السائقين عاصمة جنوب إفريقيا

قام عمال النقل في بريتوريا عاصمة جنوب إفريقيا يوم الاثنين 29 تموز: بتنفيذ إضراب عن العمل، ونظمت النقابات العمالية مظاهراتٍ في العاصمة للمطالبة بزيادة الأجور بنسبة 18% لجميع العمال. وقد أحدثت هذه المظاهرات والإضراب أزمة مرورية خانقة في العاصمة بسبب إغلاق السائقين بالحافلات الشوارع الرئيسة المؤدية إلى مركز المدينة، وقالت إحدى أعضاء النقابة: لا نستطيع أن نمنع العاملين من الاحتجاج والشكوى والإعراب عن مخاوفهم، ولكن بالطبع لا يمكن أن نرضى بالإضرار بأي فرد في هذه المدينة وإغلاق الطرق.

عمال بلدية سيدي بلعباس يدخلون في إضراب عن العمل

أصدر الفرع النقابي لعمال بلدية سيدي بلعباس، في الجزائر بياناً يعلن فيه الإضراب عن العمل لعمال بلدية سيدي بلعباس وذلك يومي الاثنين 29 تموز والثلاثاء 30 تموز بصفتهم هيئة نقابية تم انتخابها من طرف العمال، مهمتها الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم المادية والمعنوية. بسبب عدم التزام البلدية بدفع أجور ورواتب العاملين لأكثر من شهرين فيها. وجاء في البيان الذي أصدره الاتحاد العام لعمال الجزائر الفرع النقابي لعمال بلدية سيدي بلعباس: أنه لمن المؤسف أن تصبح بلديتنا وعمالها رهينة في أيدي أشخاص ليست لهم صحوة ضمير، وهمهم الوحيد هو: المصلحة الشخصية والقرارات التعسفية والارتجالية اتجاه العمال الذين يعملون في ظروف قهرية وسيئة.

نقابة عمال لاسامير في المغرب تدعو إلى اعتصام

دعا المكتب النقابي الموحد- للكونفدرالية الديمقراطية للشغل- العمال في شركة لاسامير إلى البدء في اعتصام يوم السبت 3 أب أمام مدخل الشركة في المحمدية. وقالت نقابة العمال في شركة لاسامير في بلاغ لها: إن الاعتصام جاء من أجل المطالبة بإنقاذ الشركة من الإغلاق، وحماية حقوق الطبقة العاملة. وحمّلت نقابة العمال في شركة لاسامير، في بيان لهم مسؤولية تدهور وضع العمال لتقاعس الحكومة المغربية في حل مشاكلهم، وبسبب عمليات الخصخصة العمياء التي تقوم بها، والتساهل مع مخالفات المالك السابق والتهرب من المساعدة في إنقاذ الشركة من الإغلاق، وطالبت النقابة الحكومة، بالدخول في حوار مفتوح مع العمال، والحسم في مستقبل الشركة، والعمل على أداء كل المستحقات المعلقة للعاملين.

تقارير وأرقام

التقارير بما فيها الأرقام التي تصدرها المنظمات الدولية، وخاصة المنظمات التابعة للأمم المتحدة، مثل: منظمة العمل الدولية المختصة بشؤون العمل والعمال، تشير إلى عمق الأزمة الواقعة على الفقراء، وخاصة الطبقة العاملة، نتيجة الاستغلال الكبير الواقع على العمال، ونتيجة النهب العالي الذي يمارسه الرأسمال بأشكاله المختلفة، عبر الاستحواذ على الثروة وعدم السعي باتجاه تحقيق العدالة الاجتماعية، وهذه الأخيرة لن تتحقق إلّا عبر التغيير الجذري الحقيقي لتوزيع الثروة لصالح الفقراء عموماً والعمال خاصةً، وهذه الأرقام هي مؤشرات للواقع المعاش.

■ قاسيون

يقول تقرير رئيس جديد لمنظمة العمل الدولية: إنه رغم التقدم الكبير في توسيع نطاق الحماية الاجتماعية في أنحاء عدة من العالم، لم يصبح حق الإنسان في الحماية الاجتماعية حقيقة واقعة بعد للغالبية العظمى من سكان العالم.

وتشير بيانات جديدة واردة في التقرير العالمي للحماية الاجتماعية 2019/2017 :حماية اجتماعية شاملة إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، إلى أن 45% فقط من سكان العالم يتلقون فعلياً إعانة اجتماعية واحدة على الأقل، بينما لاتزال نسبة 55% المتبقية «4 مليارات شخص» دون حماية.

وتظهر الدراسة الجديدة أيضاً: أن 29% فقط من سكان العالم يحصلون على ضمان اجتماعي شامل «وهي زيادة طفيفة عن نسبة 27% في 2014–2015»، في حين أن 71% من السكان، أو 5،2 مليار نسمة، إما غير مشمولين أو مشمولين جزئياً.

قال المدير العام لمنظمة العمل الدولية غاي رايدر: «إن الافتقار إلى الحماية الاجتماعية يترك الناس عرضة للمرض والفقر وعدم المساواة والاقصاء الاجتماعي طيلة حياتهم. ويشكل إنكار هذا الحق الإنساني لنحو 4 مليارات إنسان في العالم عقبة كأداء أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ورغم أن بلداناً عدة قطعت شوطاً طويلاً في تعزيز نظم الحماية الاجتماعية، لا تزال ثمة حاجة إلى بذل جهود ضخمة لضمان تحويل الحق في الضمان الاجتماعي إلى حقيقة واقعة للجميع».

يوصي التقرير بزيادة الإنفاق الاجتماعي على الحماية الاجتماعية لتوسيع نطاقها، ولا سيما في إفريقيا وآسيا والدول العربية، لتوفير الحد الأدنى الأساسي منها للجميع.

ويؤكد على أن الحماية الاجتماعية الشاملة تساهم في القضاء على الفقر، والحد من عدم المساواة، وتعزيز النمو الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، فضلاً عن تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتحديد عدد البلدان النامية التي وضعت برامج شاملة. ويشدد على ضرورة توسيع نطاق الحماية الاجتماعية ليشمل عمالاً في الاقتصاد غير المنظم كوسيلة لإضفاء الطابع الرسمي على ظروف عملهم وتحسينها. ولكن إيزابيل أورتيز، مديرة قسم الحماية الاجتماعية في منظمة العمل الدولية تقول: «إن سياسات التقشف قصيرة الأجل تواصل تقويض جهود التنمية طويلة الأجل. وتترتب على تدابير ضبط أوضاع المالية العامة آثار اجتماعية سلبية بالغة، وتعرض تحقيق أهداف التنمية المستدامة للخطر».

وأضافت أورتيز: «إن الحيز المالي لتوسيع نطاق الحماية الاجتماعية متوفر حتى في أكثر البلدان فقراً، ويجب أن تتحلى الحكومات بالروح الاستباقية في استكشاف جميع خيارات التمويل الممكنة لتعزيز أهداف التنمية المستدامة والتنمية الوطنية، من خلال توفير فرص العمل اللائق والحماية الاجتماعية».

النتائج الرئيسة

ينظر تقرير منظمة العمل الدولية في جوانب محددة من الحماية الاجتماعية، توفر نتائج عالمية وإقليمية تستند إلى بيانات جديدة في المجالات التالية:

الحق في الصحة لم يتحول بعد إلى حقيقة في أجزاء كثيرة من العالم ولا سيما في المناطق الريفية

الحماية الاجتماعية للأطفال

يُبين التقرير أن 35% فقط من أطفال العالم يحصلون على الحماية الاجتماعية فعلياً. وقرابة ثلثي أطفال العالم «1،3 مليار» غير مشمولين بالحماية، ومعظمهم يعيش في إفريقيا وآسيا.

يُنفق وسطياً 1،1% فقط من الناتج المحلي الإجمالي على الأطفال وعلى إعانات الأسرة الخاصة بأطفال الفئة العمرية 0 – 14 سنة، مما يشير إلى نقص كبير في الاستثمار في الأطفال.

لقد زادت في العقود الماضية التحويلات النقدية للأطفال في البلدان منخفضة الدخل ومتوسطة الدخل. بيد أن مستويات التغطية والإعانات لا تزال غير كافية. حتى أن بلداناً عدة قلصت الحماية الاجتماعية للأطفال جراء سياسات ضبط أوضاع المالية العامة.

الحماية الاجتماعية للنساء والرجال في سن العمل

لا تزال تغطية الحماية الاجتماعية للأشخاص الذين هم في سن العمل محدودة. ولا تتلقى سوى 41،1% من الأمهات اللائي لديهن أطفال حديثي الولادة إعانات أمومة، ولا يزال 83 مليوناً من الأمهات الجدد غير مشمولات.

من النتائج الأخرى في هذا المجال، حقيقة أن إعانات البطالة لا تشمل سوى 21،8% من العاطلين عن العمل، في حين لا يزال 152 مليون عاطل عن العمل غير مشمولين.

تظهر بيانات منظمة العمل الدولية الجديدة أيضاً: أن 27،8% فقط من الأشخاص ذوي الإعاقات الشديدة في العالم يحصلون على إعانة عجز.

الحماية الاجتماعية لكبار السن من الرجال والنساء

يُفيد التقرير: أن 68% من سكان العالم الذين تجاوزوا سن التقاعد يتلقون معاشاً تقاعدياً، وهذا يعود إلى توسيع أنظمة المعاشات التقاعدية القائمة على الاشتراكات، وغير القائمة عليها على حد سواء، في العديد من البلدان متوسطة ومنخفضة الدخل.

يظهر التقرير أن الإنفاق على المعاشات التقاعدية وغيرها من إعانات كبار السن يمثل وسطياً 6،9% من الناتج المحلي الإجمالي، مع تباينات كبيرة بين منطقة وأخرى. وتؤكد أن مستويات الإعانة غالباً متدنية ولا تكفي لتخليص كبار السن من براثن الفقر، وكثيراً ما تُفاقم تدابير التقشف هذا الاتجاه.

تُلغي بعض الدول خصخصة للمعاشات التقاعدية، لأن سياسات الخصخصة لم تحقق النتائج المتوقعة. وتعود بلدان مثل: الأرجنتين وبوليفيا وهنغاريا وكازاخستان وبولندا إلى الأنظمة التضامنية العامة.

التغطية الصحية الشاملة

يُبين التقرير: أن الحق في الصحة لم يتحول بعد إلى حقيقة في أجزاء كثيرة من العالم، ولا سيما في المناطق الريفية، حيث يفتقر 56% من السكان إلى تغطية صحية، مقابل 22% في المناطق الحضرية. وثمة حاجة إلى نحو 10 ملايين عامل صحي إضافي لتحقيق تغطية صحية شاملة وضمان الأمن البشري، بما في ذلك في حالات الطوارئ كأزمة الإيبولا.

لا تزال الرعاية طويلة الأجل– التي يحتاجها كبار السن بالدرجة الأولى– تستثني أكثر من 48% من سكان العالم، مع تأثر النساء جراء ذلك بشكل غير متناسب. ولا يعيش سوى 5،6% من سكان العالم في بلدان توفر رعاية طويلة الأجل، وتستند إلى تشريعات وطنية لجميع السكان.

لهذا السبب، يقدم قرابة 57 مليون عامل «متطوع» بدون أجر الجزء الأكبر من تغطية الرعاية طويلة الأجل. والعديد منهم نساء يحملن عبء الرعاية غير الرسمية لأفراد الأسرة. وستخفف زيادة الاستثمار في خدمات الرعاية من حدة الفقر بين كبار السن، وتولد ملايين الوظائف لسد النقص العالمي في عمّال الرعاية الصحية المهرة، الذي يُقدر بنحو 13،6 مليون شخص.

لالتقاط الفرصة والظرف الجديد فلسطينياً

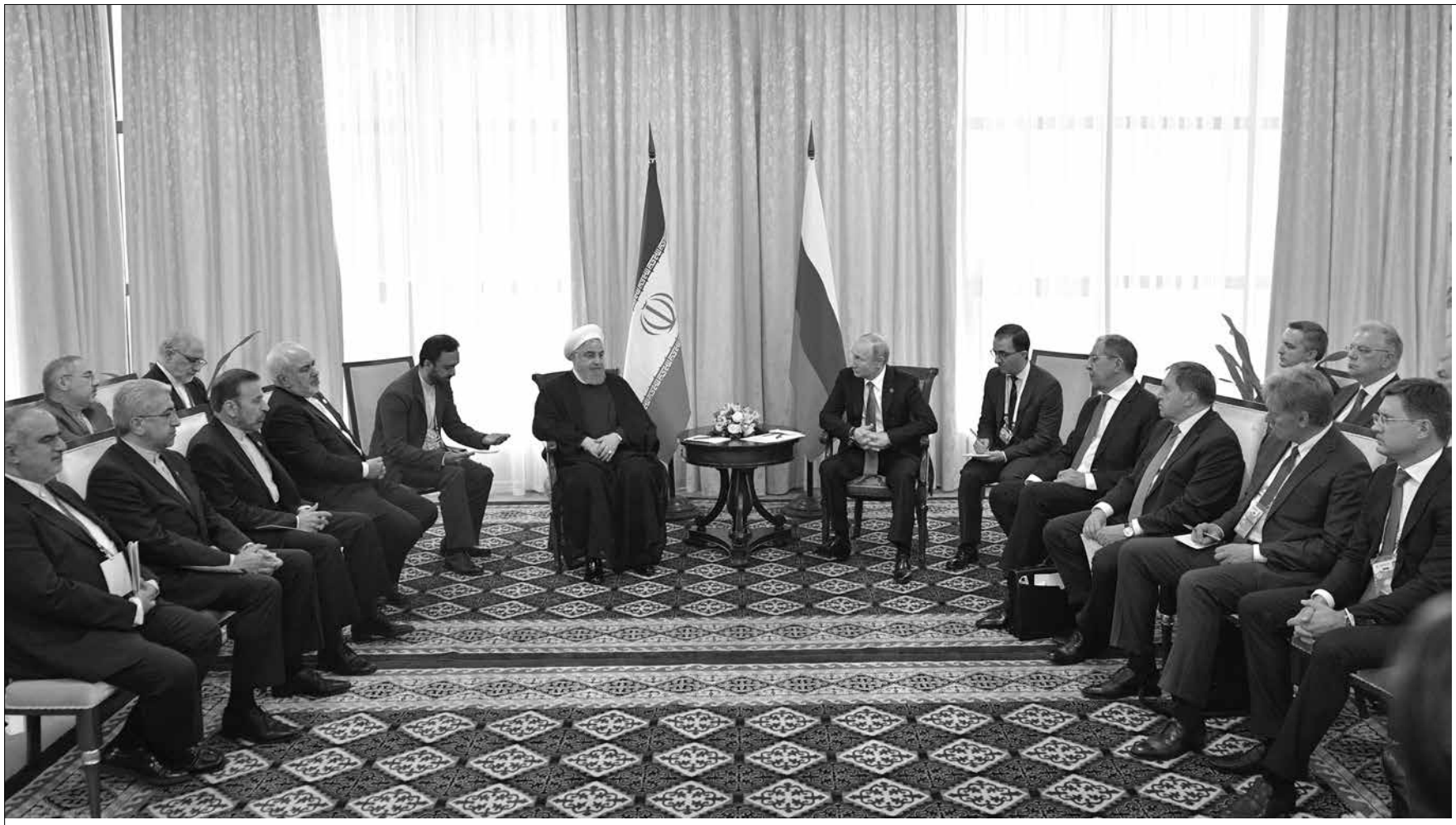

تسبّب قيام قوات العدو بهدم عددٍ من المنازل في حي وادي الحمص شرق مدينة القدس في الثاني والعشرين من الشهر الماضي- كخطوة جديدة في إطار العنوان الفضفاض المسمّى بـ«صفقة القرن»- بتداعياتٍ سياسية ودبلوماسية عدّة، كانت قد كشفت النقاب عن جهودٍ روسية إيرانية متوازية تسمح بتقدير أنه قد يكون هنالك حراك مشترك بين الدولتين للعمل على الملف الفلسطيني، ولا سيما موضوع الانقسام.

■ مالك موصللي

ما إن قام الكيان بهدم هذه المنازل، بدعوى أنها «أقيمت قريباً من الجدار العسكري العازل في الضفة الغربية»، حتى توالت التصريحات الدبلوماسية الرافضة لهذا السلوك، والتي زاد من حدتها رفض الولايات المتحدة طرح مسودة على مجلس الأمن مقدمة من الكويت وإندونيسيا وجنوب إفريقيا لاستصدار بيان يندد بعملية الهدم هذه.

ورداً على هذه التطورات، عقد رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، اجتماعاً طارئاً للسلطة الفلسطينية، بحثت خلاله موضوع الهدم ومسألة حجز الأموال الفلسطينية من قبل الكيان واستمرار النشاطات الاستيطانية، وأعلنت عقبه أن السلطة قد قررت «وقف العمل بالاتفاقات الموقعة مع الكيان وتشكيل لجنة معنية بتطبيق هذا القرار».

تلقت الفصائل الفلسطينية قرار السلطة هذا بكثير من الترحيب، ففيما اعتبرت حركتا «حماس» و«الجهاد الإسلامي» هذا القرار بمثابة «خطوة في الاتجاه الصحيح»، أعلنت باقي الفصائل في اجتماعٍ لها في قطاع غزة تأييدها له، مؤكدة أن القرار يستلزم خطوات عملية أخرى كي يؤثر بفعالية على كيانٍ العدو. وفي العموم، أثار القرار جواً إيجابياً بين الفصائل الفلسطينية قد يشكّل امتداداً للتحركات الروسية الإيرانية على خط المصالحة الفلسطينية، والتي جرت قُبيل عملية الهدم بأيامٍ قليلة.

لقاءات متوالية في موسكو وطهران

في منتصف الشهر الماضي، أجرى رئيس مكتب العلاقات الدولية لحركة «حماس»، موسى أبو مرزوق، زيارة إلى العاصمة الروسية موسكو، التقى خلالها بمبعوث الرئيس الروسي إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ونائب وزير الخارجية، ميخائيل بوغدانوف، وخلال اللقاء أكدّ أبو مرزوق أنّ روسيا رافضة لصفقة القرن، كما رفضت سابقاً مؤتمر وارسو وورشة البحرين الاقتصادية، وتقف إلى جانب طموحات الشعب الفلسطيني، «ونحن نثمّن موقف روسيا على هذا الوضوح في مواقفها»، وصرح القيادي بأن مباحثاته مع بوغدانوف تناولت «إنهاء التفرد الأمريكي في الشرق الأوسط، والذي تصاحبه جهود البيت الأبيض الواضحة لتصفية القضية الفلسطينية، واستعادة الدور الروسي في المنطقة لتحقيق التوازن فيها»، مؤكداً أنه «كانت هنالك مقترحات محددة لدورٍ يمكن أن تلعبه موسكو خلال المرحلة المقبلة في موضوع تسوية القضية الفلسطينية والمصالحة الفلسطينية، لما لموسكو من علاقات ممتازة مع كل الأطراف الفلسطينية وتفرّدها في هذا السياق»، وبدوره، أكد بوغدانوف بعد اللقاء الذي دام لأربع ساعات أن العمل متواصل في الجوانب السياسية والعملية لإعادة الوحدة الوطنية الفلسطينية، باعتباره ظرفاً ترتبط به آفاق التسوية الفلسطينية.

وألحقت «حماس» زيارتها إلى موسكو بزيارة أخرى إلى طهران أجراها نائب رئيس المكتب السياسي للحركة، صالح العاروري، حيث بحث مع رئيس المجلس الإستراتيجي للعلاقات الخارجية الإيرانية كمال خرازي، التطورات على صعيد القضية الفلسطينية، بما في ذلك ملف المصالحة.

وقبل ذلك كان رئيس السلطة الفلسطينية، محمود عباس، قد استقبل السفير الروسي، غوتشا بواتشيدزه، ليبحث الجانبان سُبل تفعيل ما توصل إليه عباس في اتصال هاتفي مع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، الذي أكّد على ضرورة أن تتم المصالحة الفلسطينية ضمن إطار منظمة التحرير الفلسطينية، وإنهاء الخلاف بين الفصائل، وتوفير روسيا ما يلزم لتنفيذ هذه العملية.

بينما تستطيع الدول الصاعدة اليوم أن تنقل أفكارها بما يرتبط بالملف الفلسطيني إلى خطوات عملية ملموسة، لا تزال الولايات المتحدة تكابد من أجل إضفاء طابع جدي على تحركاتها المتخبطة

حراك جديد... ومراوحة أمريكية

تشي مجموعة الإجراءات المذكورة آنفاً والتي اتخذتها كل من روسيا وإيران في إطار تعزيز وحدة الصف الفلسطيني بأنّ زمام المبادرة في هذا الملف يشهد محاولات جديّة لنقلها من يد الولايات المتحدة، التي احتكرت دور «الوسيط» ردحاً طويلاً من الزمن، إلى يد الدول المناوئة للهيمنة الغربية.

فبينما تستطيع هذه الدول اليوم أن تنقل أفكارها بما يرتبط بالملف الفلسطيني إلى خطوات عملية ملموسة، لا تزال الولايات المتحدة تكابد من أجل إضفاء طابع جدي على تحركاتها المتخبطة في المنطقة، فبعد كل ما قامت به واشنطن لا يزال وزير الخارجية الأمريكي، مايك بومبيو، «يأمل» في انضمام دول الخليج إلى «الصفقة»، ولا يزال كبير مستشاري البيت الأبيض، جاريد كوشنر، يزور المنطقة طولاً وعرضاً دون أي تقدم ملموس في هذا الملف، أما تصريحات المبعوث الأمريكي، جاسن غرينبلات، الذي لم ينفكّ يعلن أن ترامب سيكشف «قريباً» عن مضمون الصفقة، فقد تحوّلت إلى أضحوكة، وليس مصيرها سوى التأجيل كما تفعل الإدارة الأمريكية منذ نشوء فكرة هذه الصفقة.

موسكو تأخذ المبادرة؟

خلال اجتماع مجلس الأمن، شنت الخارجية الروسية هجوماً لاذعاً على واشنطن، كاشفة في تصريحاتها، وبما بين السطور، عن الخطوات العملية التي قد تتخذها في المستقبل القريب، حيث أكدت:

أولاً: واشنطن اتخذت نهجاً تدميرياً للمرجعيات الدولية للتسوية الفلسطينية.

ثانياً: الخطوات الأحادية التي اتخذتها الولايات المتحدة حوّلت عملية التسوية إلى رهينة.

ثالثاً: موقف واشنطن يعارض الأغلبية الساحقة لأعضاء المجتمع الدولي وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

رابعاً: على مجلس الأمن أن يتخذ زمام المبادرة ويرسل بعثة تابعة له إلى المنطقة.

خامساً: روسيا لن تقبل من اليوم فصاعداً باحتكار الجهود الدبلوماسية والسياسية في مسألة التسوية.

من شأن النقاط الخمس السابقة أن تشكّل أساساً لتعزيز الحضور الروسي في الملف الفلسطيني، الحضور الذي يسمح بفتح الباب واسعاً لتثمير النضالات الفلسطينية سياسياً، وبخروج هذا الملف من القيود التي كانت تفرضها مرحلة «الوساطة الأمريكية» على عملية التثمير هذه، مما يتطلب من القوى السياسية والشعبية الفلسطينية التقاط الفرصة، والظرف الجديد لتسريع هذه العملية من خلال إزالة كافة العوائق التي يمكن أن تقف في وجهها وتبطئ من حركتها، بما في ذلك إنهاء ملف الانقسام الذي ينبغي التعامل معه بوصفه أحد مفرزات المرحلة الأمريكية التي دفع ثمنها الشعب الفلسطيني سابقاً، وليس من المنطقي اليوم أن يدفع ثمن استمرارها بقوة العطالة.

أستانا 13...

لم يعد مستغرباً، ولا جديداً، التسييس الواضح في التعاطي مع نتائج جولات أستانا؛ فأولئك المؤيدون للغرب، وبالأحرى التابعون له، يستبقون كل جولة من جولات أستانا بحملات «المقاطعة»، والدعوات إلى مقاطعة المسار، ووصفه– كالعادة- بأنه انحراف عن مسار جنيف، والتفاف على 2254... وإلخ. من ذلك الدعوة شبه الصريحة التي أطلقها رئيس هيئة التفاوض لوفد المعارضة ضمن أستانا لمقاطعة حضور المؤتمر بذريعة الحملة العسكرية على إدلب.

■ سعد صائب

وبات معتاداً أيضاً، أن يمر أسبوع «تحليلات خلبية» بعد كل جولة من جولات أستانا، تُوضح وتُبين وتُبرهن على «فشل» هذا المسار، وعدم قدرته على تحقيق المطلوب منه، وعدم قدرته على دفع الحل السياسي قدماً.

في الاصطفافات

قبل أية معالجة تفصيلية للنتائج الفعلية لأستانا 13، وفي سياق الحديث عن التسييس، لا بدَّ من تحييد هذا التسييس عبر معرفة مصادره وأصحاب المصلحة فيه؛ فَدون القيام بذلك، لا يمكن الفصل بين انتقادات وأسئلة محقة، وأخرى لا شغل لها سوى الاستهداف السياسي للمسار.

إنّه من الواضح أنّ واشنطن والأوروبيين، يعلنون عداء صريحاً لمسار أستانا، يظهر تارة بشكل علني «كما في تصريحات جيمس جيفري أواخر العام الفائت التي دعا فيها إلى إنهاء مسار أستانا»، وبأشكال مستترة معظم الأحيان، لعجز الغربيين عموماً عن تقديم بديل جدي، بل وبالجوهر لعدم رغبتهم بتقديم بديل.

«مصيبة» هذا المسار بالنسبة للغربيين، تكمن بالضبط في أنه يجمع أهم الدول الإقليمية الفاعلة ضمن الملف، ويعمل على تقريب جهودها على أساس المصلحة المشتركة الجوهرية بينها جميعها في الوصول إلى تهدئة حقيقية في سورية، لأنها جميعها مهددة في حال امتدت نيرانها صوبهم.

إلى جانب الغربيين، هنالك أيضاً دول إقليمية، لا تدَّخر جهداً في التعبير عن امتعاضها من هذا المَسار، وتعتبر أنها تُركت جانباً نتيجة هذا المسار، وعلى رأسها السعودية التي لا يطربها التقارب الإيراني التركي الروسي، وتعتبره «اعتداءً» على مطارح نفوذ «تاريخي» لها، وبدل محاولة الوصول إلى تفاهمات مع قوى أستانا، تلجأ إلى الالتحاق بالركب الأمريكي لتقف من موقع الخصم بل وأحياناً العدو، لتفاهمات أستانا، الأمر الذي يزيد الأمور تعقيداً، ويزيد من تراجع دورها في الشأن السوري، وفي شؤون المنطقة عموماً «لعل حرب الناقلات ودور دول الخليج الثانوي والهزيل ضمنها، كفيل بتبيان حجم تراجع قدرة هذه الدول على التأثير حتى في حدودها المباشرة، ناهيك عن حدود المنطقة ككل».

وعلى هذا الأساس، نرى أن السعودية، لا توفر وسيلة إعلامية، ولديها منها الكثير، إلّا وتُشغلها في شتم أستانا، وفي اختراع إخفاقات وانتكاسات...

ملفات أستانا الساخنة

إذا حيّدنا الدعاية المسيسة، وغير الموضوعية، التي تأتي من الأطراف الغربية وحلفائها في المنطقة، ووضعنا في خلفية التفكير الأهمية الاستثنائية لأستانا كمنظومة إقليمية ذات إطلالة دولية تنتمي في جوهرها إلى نمط علاقات دولية جديد لا يزال قيد الإنشاء، وهو الأمر الذي تناولنا جوانب متعددة منه في مقالات عديدة سابقة في قاسيون، وحاولنا على هذه الخلفية الوقوف على ما جرى ضمن أستانا 13، فإنّ نقطة الانطلاق المباشرة، هي الملفات الساخنة التي كانت موضوعة على طاولة أستانا، وبالأحرى ما يقال: إنها ملفات أستانا الساخنة، ومناقشة ما جرى ضمنها. الواضح من هذه الملفات، هو «اللجنة الدستورية»، إدلب، المعتقلون، الشمال الشرقي و«المنطقة الآمنة».

أولاً اللجنة الدستورية

نقف في البداية مع هذا الملف، لأنّ الهجوم الذي تتلقاه أستانا 13 يتركز على «عدم إعلان اللجنة ضمن الجولة 13، والذي كان منتظراً أن يتم ضمنها»!

أول ما ينبغي قوله في هذا القضية: أنّ كل الأقاويل حول كون ملف اللجنة الدستورية جزءاً من الملفات التي تعالجها اجتماعات أستانا بجولاتها المتعاقبة، هي أقاويل استنسابية بعيدة عن الدقة في أفضل الأحوال، وتتوخى الهجوم على أستانا في معظمها؛ فاجتماعات أستانا التي تجري في كازاخستان، ليست مختصة بالشأن السياسي، ووظيفتها المحددة والواضحة هي الملفات العسكرية، وإنْ كان هذا لا يعني أنّ لا علاقة لثلاثي أستانا، أو مسار أستانا بصفة عامة، بملف اللجنة الدستورية، بل هو دافع أساسي نحوها، عبر تنظيمه لقاء سوتشي العام الماضي. ولكن هنالك فصلاً وظيفياً واضحاً ضمن المهام وآليات العمل ينتهجها هذا الثلاثي، فاللقاءات التي تجري في نور سلطان ليست معنية مباشرة بالملفات السياسية للحل، وليست لديها الصلاحيات أصلاً للقيام بأمر من مستوى إعلان اللجنة الدستورية، ولم تَدّعِ أطرافه يوماً امتلاكها لهذه الصلاحية، ولذا فإنّ «التفاجؤ» بعدم إعلان اللجنة في اجتماع أستانا والدخول في النقاش البيزنطي حول هل كان غياب الإعلان نتيجة غياب بيدرسون، أم نتيجة عدم الوصول إلى توافق، هو كمن كذب الكذبة وصدقها...

منشأ الالتباس لدى صادقي النية في التعاطي مع المسألة، هو: أنّ اجتماعات أستانا المتتالية، وبتعاطيها مع الشأن العسكري، وحلحلتها التدريجية للمسائل العسكرية، كانت تفتح الباب لتقدمات موازية في المسائل السياسية، وبينها مسألة اللجنة الدستورية، الأمر الذي أدى إلى خلط وسوء فهم.

وبالحديث عن اللجنة الدستورية، وبمعزل عن اجتماعات أستانا، فما لا يمكن تجاهله أيضاً، هو: الارتباط الشديد بين جميع الملفات الخاصة بالأزمة السورية؛ فلا يمكن الفصل تعسفياً بين مسألتي إدلب والشمال الشرقي، ومسألة اللجنة الدستورية، ولكن عدم الانفصال هذا، ينبغي أن يفهم بشكل دقيق... فليس يعني هذا الارتباط أنّ اللجنة الدستورية لن تُعلن حتى يتم حل مسائل إدلب والشمال الشرقي بشكل كامل، ولكنه لا يعني أيضاً أن إعلان اللجنة الدستورية يمكن أن يجري قبل التقدم «بقدر ما» في حل مسألتي إدلب والشمال الشرقي؛ هذا بالضبط أحد مضامين ما جرى التعبير عنه في افتتاحية العدد 922 من قاسيون المعنونة «خطوة خطوة وبالتوازي»؛ الأمر الذي يعني: أنّ درجة تعقد الملف وتعدد ملفاته وتشابكها، ووجود مُعطِّلين من كل الجهات المحلية والإقليمية والدولية، يفترض نمطاً من العمل والحل– معقداً هو الآخر– يُقيد المعطلين من كل الجهات، بالتوازي، وبشكل مطرد يوماً بعد آخر، وبالتالي، فإنّ الملفات كلها ستبقى مطروحة بالتوازي، وسيجري التقدم في حلها بالتوازي...

هل يعني ذلك أنّ اللجنة الدستورية لا تزال بعيدة؟ ليس الأمر كذلك، لكن اللجنة نفسها ليست إلا «مفتاحاً»، كما عبرت افتتاحية قاسيون للأسبوع الماضي العدد رقم 924، وبالتالي، فإنّ إعلان تشكيلها، لا يعني أن طريق عملها ممهد وخال من العقبات.

كل الأقاويل حول كون ملف اللجنة الدستورية جزءاً من الملفات التي تعالجها اجتماعات أستانا بجولاتها المتعاقبة هي أقاويل استنسابية بعيدة عن الدقة

مع ذلك فإنّ مجرد تَشكيلها، هو إشارة شديدة الأهمية، «بوصفها مفتاحاً»، وبوصفها الخطوة السياسية الواضحة الأولى، إلى جانب خطوات محاربة الإرهاب التي بقيت الموضوع الأساسي طوال سنوات مضت. وهذا يحمل في طياته الكثير...

ثانياً: ملف إدلب

ما الذي يعنيه إعلان التوصل إلى وقف لإطلاق النار، وهو الأمر الذي يبدو «شديدَ الهشاشة» على الأرض؟ إنه يعني: أن اتفاقاً حقيقياً على وقف إطلاق النار قد جرى، ولكن ليس وقفاً لإطلاق النار ضد النصرة، وهذه الأخيرة تسيطر على الجزء الأكبر من إدلب؛ أي: أنّ الاتفاق جرى بين الحكومة السورية من جهة، وبين المسلحين غير المصنفين إرهابيين وفقاً للأمم المتحدة من الجهة الأخرى. هذا جوهر المسألة، ويعني ضمناً: أنّ أستانا أعادت التأكيد على تنفيذ اتفاق سوتشي بما يخص المنطقة العازلة بعمق 20 كيلومتراً، والتي ينبغي إخراج الأسلحة الثقيلة والمتوسطة منها، وكذلك خروج الأفراد والتنظيمات الإرهابية منها، وجرى في هذا الشأن ضغط علني واضح على الأتراك من قبل الروس مع إعطاء مهلة قصيرة للتنفيذ، الأمر الذي سيتوضح في سلوك وإجراءات ملموسة خلال الفترة القادمة. وهذا يعني أيضاً: أنّ وفد المعارضة ضمن أستانا، قد اعترف صراحة بكون النصرة إرهابية، وبنيّته عدم الوقوف إلى صفها بالحد الأدنى، إن لم يكن الوقوف للقتال ضدها. وهذا أيضاً تقدم مهم في عملية عزل النصرة وشبيهاتها عن الآخرين الذين لن يكون لدى بعضهم بعد الآن ترف الوقوف الموارب إلى جانب النصرة، وصولاً إلى أنّ مسألة فتح طرقات**m4** و**m5** وإنهاء النصرة، هي مسألة قيد التنفيذ، وقد اقتربت من مفصل هام في تحقيقها.

ثالثاً: المعتقلون والمفقودون

ربما يشكل هذا الملف واحداً من أكثر الملفات

ما الذي تحقق؟

تعقيداً، لأن فتحه بشكل جدي سيدين الأطراف المختلفة إدانة «سياسية وأخلاقية»، وإنْ كان ذلك متفاوتاً في شدة وقعه، نتيجة لتفاوت المسؤولية وفقاً لعدد المعتَقلين، ولمصائر هؤلاء المعتقلين. مع هذه الإدانة، ستبدو شعارات المتشددين من الأطراف المختلفة، التي لم يعد يصدقها أحد أساساً، جوفاء وأكثر هزالة مما هي عليه الآن، ولذا فإن إحراز تقدم جدي في هذا الملف الحساس والضروري، لا يزال شديد الصعوبة.

رغم ذلك، فإنّ الجولات الثلاث الماضية من أستانا، باتت تترافق مع تبادل محدود، وهذا تقدم لا يرضي أحداً، ولا يمكن القبول به بوصفه تقدماً حقيقياً.

رابعاً: الشمال الشرقي و«المنطقة الآمنة»

رغم أنّ هنالك ترويجاً عالياً أنّ هذا الملف «ليس من اختصاصات أستانا»، وأنه حكر على الكباش «الأمريكي- التركي»، إلا أنّ واقع الأمور أنه ملف حاضر دائماً في أستانا؛ ثلاثي أستانا متفق بالحد الأدنى أنّ الوجود الأمريكي- الأوروبي في سورية مُعادٍ لمصالحهم جميعاً، من بوابة تكريس هذا الوجود لحالة عدم الاستقرار، ومحاولة الغرب تحويله إلى مسمار جحا الذي من خلاله يحاولون البقاء جزءاً مباشراً من المسألة، وبالضبط جزءاً معطلاً لكل ما يتم إنجازه.

في هذا الملف، لا بد من القول: إنّ كل الحديث التركي عن «المنطقة الآمنة»، وإنْ كان لدى البعض من الأتراك وغيرهم، أوهام حول إمكانية تحقيقه، كلياً أو جزئياً، هو حديث لا آفاق له، ولا إمكانات واقعية جدية لتحقيقه، ليس بسبب الرفض الأمريكي فحسب، «فالأمريكي يمكنه الدفع باتجاه تعقيد الملفات عبر إعطاء الأتراك منطقة آمنة جزئية، بحيث يصبح الشمال الشرقي متروبولاً عسكرياً غير قابل للفك»، ولكن لأنه مرفوض أيضاً من روسيا وإيران، إذا قصرنا الحديث على القوى الدولية والإقليمية، «ولا ينفع في هذا الإطار، التعويل على «جهود» خليجية تسعى لنفخ أوهام إضافية، وتثبيت وجود ونفوذ ضمن الشمال الشرقي، فهذه الجهود مصيرها الفناء، كما الأوهام التي تملأ بعض الرؤوس، بمجرد خروج الأمريكي من المنطقة، وهو الأمر الذي لن يطول انتظاره، وفقاً لمؤشرات الوضع العام للأمريكي... والأوروبي في هذا الملف مجرد ملحق بلا حول ولا قوة».

بهذا المعنى، فإنّ ملف الشمال الشرقي، هو جزء من نقاش أستانا، بل وجزء أساس، ربما يكون حجم الاختلافات بين الثلاثي ضمنه، أقل بكثير من الاختلافات في كل الملفات الأخرى الساخنة ضمن أستانا.

محصلة

كما كل جولة جديدة من أستانا، فإنّ حجم الانتقادات الغربية، وحجم التهويل الإعلامي بفشل الجولة، يعكس حجم الألم الذي يسببه مجرد وجود هذا المسار، وحجم الألم الذي تسببه كل جوله من جولاته. وبالمحصلة، فإنّ أستانا 13، هو خطوة إضافية، ضمن البرنامج العام للحل: «خطوة خطوة وبالتوازي».

حرب الناقلات وصلت ذروتها؟

يبدو أن سيناريو «حرب الناقلات» التي أطلقها الأمريكيون والبريطانيون قد وصل أيضاً إلى «حافة الهاوية»، وأيضاً بلا أية نتائج لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

■ يزن بوظو

لا تزال المفاوضات جارية حول ناقلات النفط المحتجزة لدى كلٍّ من إيران وبريطانيا، حيث قدّمت لندن مؤخراً عرضاً بمبادلة الناقلات المحتجزة، الأمر الذي رفضته طهران بسبب اختلاف الأسباب المتعلقة خلف توقيفهم، فبالمعنى القانوني، أولاً: لا تملك لندن أيّ شيء سوى ذريعة «الوجهة إلى سورية» باحتجازها للناقلة الإيرانية في مضيق جبل طارق، بينما قامت طهران باحتجاز الناقلة «ستينا إمبرو» البريطانية لمخالفتها قوانين الملاحة البحرية، واصطدامها بقارب، بعد عدة تحذيرات وإنذارات في مضيق هرمز. أما على المستوى السياسي، فإن ما يجري بالنسبة للإيرانيين من عقوبات وضغط ليس بجديد، لكن بالنسبة للبريطانيين ومن خلفهم الأمريكيون فإن الموقف الإيراني المتصاعد وقوته هو أمر جديد، ويتعاظم مع مرور الوقت لتلك الدرجة التي يمكن القول بها: إن طهران مع دعم حلفائها قد جعلوا من الغرب أضحوكة في حداث «حرب الناقلات».

رفض للدعوة الأمريكية

الأمر الجديد المتعلق بالقضية، هو دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لتشكيل تحالف بحري في الخليج، التي لم تلق أية استجابة جدية من أيّ من حلفائها الأوروبيين والآسيويين والخليجيين، سوى بريطانيا بطبيعة الحال... فمثلاً: أعلن وزير الخارجية الألماني أن بلاده لن تشارك في المبادرة الأمريكية لإطلاق عملية بحرية لتأمين الملاحة في مضيق هرمز، وأكّد على ضرورة التركيز على تفادي التصعيد في المنطقة، داعياً إلى الحلول الدبلوماسية، حيث قال: «لا يمكن أن يكون حل عسكري هنا، وألمانيا لن تشارك في المهمة المقترحة، والمخطط لها من قبل الولايات المتحدة». أما بالنسبة للفرنسيين، فلم يصرحوا لا بالقبول ولا بالرفض، لكنّ وبعد الدعوة تلك بأيام، قالت الرئاسة الفرنسية: إن الرئيس إيمانويل ماكرون أكد أن العقوبات الأمريكية على إيران أحادية وبلاده ترفضها، مضيفاً: أن باريس ستبذل جهودها لتأمين مصالح طهران في الاتفاق النووي وتطبيع العلاقات الاقتصادية معها. السلوك الذي يتلاقى مع دعوة روسيا بحل قضايا أمن الخليج عبر الحوار.

للبريطانيين حال خاصة

البريطانيون من جهتهم قاموا بإرسالة سفينة حربية ثانية إلى الخليج، وقدموا اقتراحاً مشابهاً لواشنطن بدعوتهم للقيام بمهمة بحرية يقودها تحالف أوروبي لضمانٍ أمن الشحن عبر مضيق هرمز حسب ما وصفوه... لكن على العكس من الدعوة الأمريكية، لاقى الاقتراح البريطاني بعضاً من الترحيب في الأوساط الأوروبية، وبصرف النظر عن ضعف إمكانية تنفيذه، إلا أن الموضوع هنا يفتح سؤالاً: لم رفضت دعوة واشنطن وقبلت دعوة لندن؟ ... يمكن الاختصار: إن التوازن الدولي الجديد، والأزمة الأمريكية التي تفرض على واشنطن التراجع والغرق، يفرض على حلفائها التقليديين الفكاك عنها، في محاولة للنجاة، حيث تسعى الدول الأوروبية لتثبيت موقع جيد في معادلة التوازن الدولي الجديد، الذي لا وجود للهيمنة الأمريكية فيه، ومن جهة أخرى فإن مسألة «بريكست» عاملٌ إضافي في ذلك، حيث خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في هذا الوقت والظرف والشروط ليس من مصلحة الأوروبيين جميعهم، بذلك يدفعون الأمور نحو أكبر قدر من التقارب والتعاون مع بريطانيا، وفيما يخص «المهمة البحرية» تلك، فإن الترحيب الأوروبي ذاك لا يتجاوز الشكل الدبلوماسي له، حيث الرفض سيفاقم التناقض الحاصل، وهو ما لا يصب في مصلحة أحد سوى واشنطن، وإن جرت تلك المهمة البحرية فإن ذلك سيدفع بالتناقض الأوروبي- الأمريكي أكثر.

ما من حرب

أما حول قيام الغربيين بأنشطة عسكرية بحرية حقيقية في الخليج العربي، هو غايةً، إن لم يكونوا عاجزين عن تحقيقها تماماً اليوم، فسيصبحون كذلك غداً، حيث وأولاً المعنيون بالأمر في منطقة الخليج لا يريدون الحرب، وأولهم السعودية نفسها، فبالنسبة لها أي نزاع إيراني- غربي سوف يكون في المحصلة أولاً: على أرضها أي: على القواعد الأمريكية لديها. ومن جهة ثانية: فإن أزمة «الدولار» ومتغيّرات أسعار النفط والتجارة الدولية بفعل هذه الأحداث نفسها تسبب لدول الخليج «مرض الضغط» لتلك الدرجة التي قد يمتنعون فيها عن تسديد تكلفة أيّة عملية عسكرية بدواع أمنية اقتصادية أساساً. ويمكن رصد هذا السلوك الخليجي من تصريحاتهم المقتضبة حول ما يجري على حدودهم في الخليج.

محاربة الفساد وشريحة المُعطلين

هل من الممكن أن تسفر السياسات الاقتصادية الاجتماعية المعمول بها عن نتائج جدية على مستوى محاربة الفساد أو الحد منه؟.

■ عاصي اسماعيل

هل يمكن اعتبار الجوهر الليبرالي للسياسات المعتمدة أرضية مناسبة لمقارعة الفساد؟.
هل من الممكن للمستفيدين من غياب العدالة الاقتصادية الاجتماعية أن يوجهوا سهامهم نحو الفساد؟.
هذه الأسئلة وغيرها الكثير تتبادر للأذهان في كل مرة يتم الترويج فيها لمشاريع رسمية تتحدث عن مكافحة الفساد بشكل عام، أو عن الحد من أحد أشكال تجلياته، وما أكثرها.
فعند سماعنا لمفردة «الفساد» يتبادر لأذهاننا الكثير من المفردات والعبارات المرتبطة بها عضوياً، مثل: «الاختلاس- الرشوة- التكسب من الوظيفة- استغلال وصرف النفوذ- المحسوبية- الوساطة- التهاون بتطبيق الأنظمة والقوانين أو التحيز بها- استغلال الممتلكات العامة- الاستيلاء على المال العام- الابتزاز والإتاوة- الإضرار بالمصلحة العامة..» وهي جميعاً سلوكيات وممارسات، مللنا جميعاً من كثرة الحديث عنها والإشارة إليها، كما مللنا من كثرة ما سمعنا من مشاريع رسمية حيالها بغاية الحد منها أو مكافحتها ومحاربتها، والأهم هو: الانعكاسات السلبية لهذه الممارسات والسلوكيات على الواقع الاقتصادي الاجتماعي، وعلى المصلحة الوطنية عموماً.

التركيز على النتائج بعيداً عن الأسباب

المشروع الأخير رسمياً بهذا السياق، هو: «مشروع قانون الإفصاح عن الذمة المالية»، وذلك بحسب ما صرح به مدير إدارة التشريعات الوظيفية في وزارة التنمية الإدارية عبر إحدى الصحف المحلية مؤخراً، والذي وضح بأن: «فكرة القانون تنص على إجبار الموظفين والعاملين بالدولة على تقديم تصاريح بالذمم المالية قبل التعيين بالوظيفة العامة، وعند انتهاء الخدمة لتبيان إذا ما حصلت زيادة غير منطقية أو غير مبررة في ثروتهم»، مضيفاً: «على هذا الأساس يحاسب الموظف سواء أكان حصل على المال أو على أي مكسب مادي من خلال وظيفته بشكل غير شرعي، مؤكداً أن الهدف من القانون هو الوقاية من الفساد».
على اعتبار أن «المكتوب مبين من عنوانه» يمكن القول: إن مشروع القانون أعلاه لن يُخرج الزير من البير، خاصة وأن زاوية الرؤية الرسمية المُصدرة والمروّجة له تحت عنوان «الوقاية من الفساد» ما زالت محصورة ومُركزة على الفساد كآفة باعتبارها سلوكاً فردياً محصوراً بالوظيفة العامة فقط، دوناً عن الرؤية الأوسع والأعم ارتباطاً بالسياسات الليبرالية المعتمدة ومفاعيلها الاقتصادية الاجتماعية، وبمعنى أدقّ يتم التركيز على جزء محدود من النتائج وليس كلها، وبعيداً عن المقدمات والأسباب.

من أين لك هذا؟

مثلاً، ربما من السهل القول، على هذا الأساس القانوني وبحسب الرؤية أعلاه المتمثلة بسؤال «من أين لك هذا؟»، إن كل العاملين بأجر «كبيرهم قبل صغيرهم، وبكافة المواقع الوظيفية من أعلاها إلى أدناها» هم فاسدون، فمن أين وكيف يؤمن هؤلاء متطلبات معيشتهم الشهرية، طالما أن الأجور تكاد لا تغطي احتياجات ومتطلبات الحد الأدنى لأسبوع على الأكثر؟!.
فإذا كان غالبية العاملين بأجر من «الصغار» لديهم ما يكفيهم من الإجابات على هذا السؤال المشروع، من خلال التزام غالبيتهم بعمل ثانٍ وثالث أحياناً، على حساب صحتهم كما على حساب وقتهم مع أسرهم، أو من خلال انخراط بقية أفراد أسرهم صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً بالعمل، كموارد إضافية للرزق لتغطية تكاليف ضروراتهم المعيشية، ومع ذلك يعيشون الحد الأدنى من الكفاف، حيث تنطبق عليهم مقولة «قوت لتموت»، فإن الغالبية من «الكبار» ليس لديهم إلا إجابة وحيدة تقول: «هذا من فضل ربي»، تغطية على فسادهم ونهبهم الكبير، بالمقابل يعيشون حياة الترف والبذخ مع أسرهم، وعلى عين الحكومة وأولي الأمر.
فسياسات الأجور المعتمدة وحدها كفيلة بتعرية كل ما يقال رسمياً عن مكافحة الفساد أو الوقاية منه، فهي تدفع باتجاه البحث عن موارد الرزق الإضافية لردم الهوة بين الدخول والأسعار، بما فيها تفشي الرشوة كأحد أشكال الفساد، وربما على هذا الأساس من غير الضروري الحديث عن الثروة وتراكمها، أو الانتظار لحين انتهاء الخدمة لتبيان ما جرى من تراكم عليها، فشهر واحد وحيد كاف على مستوى الرقابة والمحاسبة على هذا الأساس.
والحال كذلك على مستوى النتائج المترتبة على السياسات الأجرية المتبعة فقط، فكيف الحال مع بقية السياسات الاقتصادية الاجتماعية التي تكرّس انعدام العدالة الاجتماعية، وتعمّق الفرز الطبقي؟.

السياسات الليبرالية مفرخة الفساد والموبقات

واقع الحال يقول: إن الفساد من الناحية العملية تعدى كونه ظاهرة محدودة بالمكان والأفراد، حيث أصبح بنية متشابكة ومتكاملة لها ارتباطاتها المحلية والإقليمية والدولية، معززة الدور والحضور والفاعلية من خلال النموذج الليبرالي المعولم بشكله الأكثر قبحاً ووحشية من خلال الأدوات والوسائل الكثيرة المتاحة لهذا النموذج، ليس من أجل تعزيز دور الفساد وتعميمه وتعميقه فقط، بل من أجل حمايته، وحرف الأنظار عنه وعن شروره ونتائجه أيضاً.
فالسياسات الاقتصادية الاجتماعية المعمول بها تعتبر المفرخة المستمرة للفساد ولكل الموبقات الأخرى، ودون توجيه السهام إليها فلا معنى لعبارة «الوقاية من الفساد»، فكيف بمكافحته والقضاء على أسبابه؟.
بل أكثر من ذلك إن التعمية عن السياسات الليبرالية المتبعة وعدم تحميلها أوزار نتائجها على مستوى ظاهرة الفساد وغيرها من الظواهر والموبقات الأخرى لن يوصلنا إلا إلى نتيجة يتحمل جريرتها المسحوقون والمهمشون مجدداً.
فغياب العدالة الاقتصادية الاجتماعية، وزيادة حدة الفرز الطبقي من خلال سوء توزيع الثروة، ما هي إلا نتائج مباشرة للسياسات الليبرالية المتبعة منذ عقود وحتى الآن، والتي وصلنا من خلالها إلى ما وصلنا إليه من فقر وتهميش وجهل و.. بالإضافة طبعاً إلى تدني الحريات السياسية ودورها على مستوى الرقابة كأداة من المفروض الاعتماد عليها، ليس أجل الوقاية من الفساد ومكافحته فقط، بل من أجل مكافحة كافة الظواهر الهدامة في المجتمع، وما وصلنا إليه أخيراً من زيادة في تهميش دور الدولة نفسها على المستوى الاقتصادي الاجتماعي، بمقابل زيادة نفوذ قوى السوق والسوء والفساد المستفيدة من تلك السياسات على حساب الشرائح الاجتماعية المُفقرة، كما على حساب المصلحة الوطنية.

السياسات الاقتصادية الاجتماعية المعمول بها تعتبر المفرخة المستمرة للفساد ولكل الموبقات الأخرى ودون توجيه السهام إليها فلا معنى لعبارة «الوقاية من الفساد»

مشروع قانون وشريحة المُعطلين

مشروع القانون المطروح أعلاه ليس جديداً، بل مُجدّداً، وهو ما أكده مدير إدارة التشريعات، حيث أشار إلى: «القانون 64 موجود في البلاد أصلاً وهو مشابه للقانون الحالي الذي يجري العمل عليه ويتحدث عن الموضوع ذاته وما نقوم به هو إنجاز صيغة أخرى عنه».
ومن خلال مراجعة القانون رقم /64/ لعام 1958 المسمى بقانون «الكسب غير المشروع» من الموقع الرسمي لمجلس الشعب نجد أنه ينص في مادته الأولى على ما يلي:
«على كل موظف عام وكل عضو في أحد المجالس النيابية التشريعية أو المجالس الممثلة للوحدات الإقليمية، وعلى العموم كل مكلف بخدمة عامة أو له صفة نيابية عامة، بصفة دائمة أو مؤقتة، وبأجر أو بغير أجر، أن يقدم خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ تعيينه أو انتخابه إقراراً عن ذمته المالية وذمة زوجه وأولاده القصر في هذا التاريخ، يتضمن بيان ما له من أموال ثابتة ومنقولة وعلى الأخص الأسهم والسندات والحصص في الشركات وعقود التأمين والنقود والحلي والمعادن والأحجار الثمينة وما له من استحقاق في الوقف وما عليه من إلتزامات..».
أما الملفت فهو: أن هذا القانون ما زال يعتبر نافذاً حتى الآن، أي أنه ما زال ساري المفعول نظرياً لكنه مُعطل عملياً.
وبالمقارنة بين القانون النافذ المُعطل وبين المشروع المُجدد، يتبين أن مروحة شمول الأول أوسع بكثير، من المشروع الجديد المحصور بـ «الموظفين والعاملين بالدولة» فقط، ولعل ذلك أحد أسباب تعطيله طيلة العقود الماضية.
وبغض النظر عن القانون المُعطّل، بما له وما عليه، ربما من المفيد الإشارة إلى أن القادرين على تعطيل هذا القانون طيلة هذه الفترة بالرغم من نفاذه، قادرون على تعطيل أي مشروع أو نص يطالهم بالمحاسبة أو يحد من نفوذهم، أو يحول دون زيادة مكاسبهم، ناهيك عن إمكاناتهم وقدرتهم على صياغة ووضع القوانين والنصوص التي تزيد من نفوذهم ومن حصصهم وأرباحهم وفسادهم، وطبعاً الحديث هنا عن شريحة كبار الفاسدين وحيتان المال وكبار التجار وأصحاب الثروات، ومن انضم إليهم مؤخراً من تجار حرب وأزمة، والمستفيدين من جملة السياسات الليبرالية المتبعة، مع الأخذ بعين الاعتبار ارتباطات مصالح هؤلاء الإقليمية والدولية.
وربما بهذا السياق يمكننا التعميم على كل الجوانب المرتبطة بهذه الشريحة ومصالحها مع إجراءاتها التعطيلية لكل ما من شأنه الإضرار بمصالحها وارتباطاتها، ولو كان على حساب القضايا الوطنية الكبرى في ظل الأزمة الوطنية العميقة التي نعيشها.
فهل بعد ذلك يمكن الحديث عن الفساد بمعزل عن السياسات المتبعة والمستفيدين منها؟.

ديـر الـزور.. مدينةٌ في حيين فقط؟!

عامان مرًّا تقريباً عل فكّ الحصار عن حيّي الجورة والقصور في مدينة دير الزور، ودحر التنظيم الفاشي التكفيري داعش من بقية أحياء المدينة وريفيها الشرقي والغربي جنوب نهر الفرات.. عامان مرّا، وما زالت المدينة تَختصر في حيّين تقريباً، مزدحمين في كلّ شيء، بالإضافة إلى حي هرابش في شرقها والذي يعتبر شبه ضاحيةٍ لبعده عن مركز المدينة ولقربه من المطار العسكري والمدني..

■ مراسل قاسيون

وردت إلى قاسيون شكاوى قديمة جديدة من العديد من الأسر والأهالي، تطالب بتأهيل بقية أحياء المدينة، والتخفيف من الأعباء التي تحملها ويتحمّلها المواطنون طيلة السنوات الماضية وحتى الآن، وخاصة في ظل الظروف المعيشية والبيئية القاسية، وهي بحسب الأهالي ليست مستحيلة وليست صعبة في حال توفر النّية والإرادة.

الأمور على حالها من التردي

عامان مرّا وما زالت بقية أحياء المدينة أحياء أشباحٍ تعصف فيها الرياح، والدمار على حاله، ولا وجود لأيّ نوعٍ من الخدمات كالكهرباء والماء والصرف الصحي والمدارس والمنشآت الصحية وغيرها.. رغم أن العديد من الأسر اضطرت إلى العودة إليها، والسكن فيها كما هي، المنازل السليمة وشبه المدمرة، وخاصةً بعد إلزام العاملين في الدولة بالعودة إلى دير الزور بقرارٍ حكومي، واضطروا للسكن المأساويّ فيها، لعدم قدرة حيّي الجورة والقصور على الاستيعاب، ولارتفاع إيجارات السكن فيها.

فرغم الزيارات المتكررة والمتعددة للجان الوزارية، والمبالغ المخصصة التي تربو على 40 مليار ليرة وعلى قلتها، إلاّ أن الأمور بقيت على حالها، فغالبية الأموال ضاعت على الشكليات كتأهيل الدّوّارات، بدل أن تصرف على تأهيل البنى التحتية كما هي مخصصة لذلك، ناهيك عن بعض أوجه النهب والفساد الممارس، والتعفيش المستمر لبقايا المنازل المهدمة كالحديد والبلوك، والذي يتم على عينك يا مسؤول، ودون أن يحرك أحدٌ ساكناً.

ورغم مطالب الأهالي وشكاواهم المتكررة للجان الوزارية خلال زياراتها، والتي تقتصر على التصوير والإعلام فقط، فقد بقيت الأمور على حالها من التردي.!

شكاوى واقتراحات أهلية

الأهالي الذين تقدموا بشكاواهم لم يتوانوا عن تقديم بعض الاقتراحات بشأن البعض من مشكلاتهم ومعاناتهم، ومنها:

المساكن العسكرية بلا مدرسة

على طريق دير الزور دمشق تتموضع العشرات من المساكن النموذجية للعسكريين، وتحوي 160 شقة سكنية، أي 160 عائلة عادت وسكنت فيها، وبجوارها مساكن أهلية أيضاً وهي مخدّمة، وتوجد فيها مدرسة ابتدائية جاهزة ببناها التحتية كانت تستوعب الطلاب قبل الأزمة... وحالياً خالية تنظر بعين اليتيم لطلابها، سواء المقيمين في المساكن العسكرية أو المساكن الأهلية من حولها.

فطلابها السابقين باتوا «مشنططين» ومضطرين للذهاب إلى مدارس المدينة التي تبعد مسافة أكثر من 4 كم، في هذه الظروف البيئية القاسية في حرّ الصيف الشديد وبرد الشتاء القارس، بالإضافة إلى الأعباء المعيشية وبدلات النقل والمصاريف الأخرى التي يتكبدها ذويهم.

لقد أصبح آباء وأمهات التلاميذ بحالة صعبة، فالآباء منهم متطوعون، ومنهم بالخدمة الإلزامية، يخرجون من الصباح اضطراراً والتزاماً بمواعيد التحاقهم بقطعاتهم، بالإضافة إلى ضرورات المبيت في هذه القطعات، ليبقى الويل على الأم المتعبة لتأمين واسطة نقل لأولادها لإيصالهم إلى مدارسهم في أحياء المدينة بالمواعيد المحددة، وتأمين عودتهم منها، خاصة وأن هؤلاء ما زالوا بمرحلة الطفولة.

فلماذا لا تتم إعادة افتتاح المدرسة الابتدائية الموجودة في المساكن العسكرية، للحد من معاناة التلاميذ اليومية، خاصةً وأن هناك فائضاً بالكادر التعليمي نتيجة قرارات الإلزام بالعودة منذ أكثر من عام، وربما ليس هناك حجة لعدم فتحها هذا العام.؟

الإنارة بالطاقة الشمسية

طالب أهالي الأحياء في دير الزور، غير حيّي الجورة والقصور، كحي الحميدية وحي المطار القديم، بإنارة الشوارع مؤقتاً بمصابيح الطاقة الشمسية، خاصةً وأنّ الكهرباء النظامية من الشبكة قد وصلت إلى حيّي الجورة والقصور، حيث يمكن نقل المصابيح التي كانت قد وضعت فيهما إلى الأحياء الأخرى، واستكمال البقية بوضع مصابيح الطاقة الشمسية في الشوارع، ريثما يتم تمديد الشبكة النظامية لها، وهذا أضعف الإيمان كما يقولون.!

الرسوم والمطالبة بالتعويضات

اشتكى الأهالي من الضرائب التي يجري رفعها باستمرار على أصحاب المحلات والبسطات، ومن الحملات المستمرة التي تستهدفهم، والتي تنعكس غلاءً على المواطنين المستهلكين بالمحصلة.

كما يطالبون بإعفائهم من تسديد المبالغ التي تطالب بها مؤسسات الدولة كالكهرباء والمياه والهاتف، لمن يريد العودة والسكن والاستقرار، خاصةً وأنهم غير مسؤولين عمّا جرى من تخريب للشبكات الكهربائية وسرقة العدادات، فقد كانوا مهجرين، ناهيك عمّا خسروه من ممتلكاتهم وشقاء عمرهم سواء من المجموعات المسلحة التي كانت مسيطرة على المدينة، أو من المعفشين بعد طرد المجموعات المسلحة.

كما يطالبون أيضاً بحقهم بالتعويضات العادلة عن الأضرار التي لحقت ببيوتهم، ولقاء ما خسروه من ممتلكات.

المشتكون من الأهالي يتساءلون: ألا تكفيهم سنوات الأزمة من تشريد وتهجير؟

ألم تكفي سنتان لإنجاز الحد الأدنى من المطالب وللإنصاف بالحقوق؟

قاسيون، تسوق الشكاوى والمطالب أعلاه لتضعها برسم الجهات المسؤولة في دير الزور، ولوزارة التربية، واللجنة الوزارية المكلفة بمتابعة إعادة التأهيل والإعمار لدير الزور، عسى تُستدرك على عجل، كونها مطالب وحقوقاً مشروعة.

فيسبوكيات

نبدأ فيسبوكيات هذا الأسبوع ببوست تهكمي متداول وطريف بتسخيره للمفردات المرتبطة بالتقنيات الحديثة إسقاطاً لما آلت إليه أنماط العلاقات في ظل الواقع الاقتصادي الاجتماعي المعاش، يقول البوست:

● «أيام زمان كان «حبل الكذب قصير».. اليوم صار «Wireless» !!».

حول الخبر الوارد على صفحة الحكومة عن انطلاق أعمال المؤتمر الوطني الأول للإسكان في سورية، الذي تعقده وزارة الأشغال العامة والإسكان في قصر الأمويين، علّق بعض المواطنين بما يلي:

● «لك حاجة تعملوا مؤتمرات وأعياد اشتغلوا انجزوا».

● «نسبة الحضور كبيرة ماشاالله».

● «مؤتمراتكم في القصور الفارهة لأجلنا!!! ما أصدقكم».

وحول الخبر من صفحة الحكومة بشأن محضر الاتفاق الموقع بين «شركة حديد حماة، والشركة العامة للطرق والجسور لاستجرار مادة الخردة»، بما يضمن استمرار عمل معمل حديد حماة على مدار الساعة، وعدم توقفه عبر تأمين المادة الأولية له، علق أحد المواطنين بما يلي:

● «ماشاء الله مصدر مهم وإستراتيجي لتأمين المادة الأولية لصناعة الحديد «الشركة العامة للطرق»!!»

وحول الخبر الوارد على صفحة الحكومة أيضاً عن حديث رئيس الحكومة بشأن مشروع ماروتا سيتي، ومسؤولية مجلس إدارة شركة الشام القابضة الخاصة بأن: «تبريرات أعضاء الشركة في التأخير اليوم غير مقنعة وشمّاعة الحرب لم تعد مقبولة، ومن يشعر أنه عاجز فليعلن عجزه»، علّق بعض المواطنين بالتالي:

● «هل الماروتا سيتي أهم من ترميم منازل المهجرين داخل الوطن الذين صمدوا طوال سنين الحرب.. لم نعد نملك ثمن حجر لإعادة ترميم منازلنا».

● «إن كان لدينا عجز في تنفيذ هذا المشروع... فلماذا نفتح مشروع آخر ونهدم مصانع قائمة ونقع بنفس العجز..؟».

حول الحديث المنقول عن لسان معاون وزير التموين بشأن توزيع السكر ومواد غذائية أخرى على البطاقة الذكية، وتوضيحه أن الدوافع لتوزيع المواد الأساسية بطريقة البطاقة الذكية، هي الاستهلاك غير الواعي من قبل المواطنين، حيث يلجأ الكثير من الناس إلى شراء كميات فائضة عن حاجتهم بسبب الخوف من انقطاع المادة، علّق بعض المواطنين بالتالي:

● «الله يبشركن بالخير أصبح هي شتوية في أزمة سكر ورز وشاي طالما ع البطاقة الذكية»

● «الناس ما عم تلاقي مصاري تخليها تشتري حاجتا فكيف طلع معك إنها عم تشتري فائض عن حاجتا».

● «السؤال الجدير بالذكر، كم تبلغ قيمة حصة شركة تكامل عن كل كيلو سكر سيتم شراؤه؟».

● «البطاقة الذكية ليست هي الحل.. الحل بضبط السوق وردع التجار الجشعين».

أخيراً، نختتم مع بوست من إحدى الصفحات الشخصية يعكس بمضمونه حال الاستياء العام مما جرى ويجري في البلد، يقول البوست:

● «والله الواحد بهالبلد صار محتار.. يطول بالو.. ولا يطول لسانو؟!».

وناقل الكفر ليس بكافر.

القابون الصناعية..

ملف ساخن على موائد الاستثمار

ما زال ملف مشكلة صناعيي منطقة القابون مُستعراً، فقد ارتفعت حرارته مؤخراً على إثر اجتماع الهيئة العامة لغرفة صناعة دمشق وريفها بتاريخ 2019/7/27 بحضور وزير الصناعة، وما رشح لاحقاً عنه من أن رئيس مجلس إدارة غرفة صناعة دمشق وريفها تحدث بخصوص منطقة القابون وأكّد خلال تصريح: «أن هناك عدداً من الصناعيين بدأوا يقتنعون بقرار الحكومة القاضي بنقل الصناعيين من منطقة القابون إلى عدرا الصناعية».

■ مالك أحمد

التأكيد عن لسان رئيس مجلس إدارة غرفة صناعة دمشق وريفها أعلاه تم نقله عبر إحدى الصحف المحلية، والتي أوردت أيضاً بخصوص المنطقة الصناعية في القابون تأكيد بعض الصناعيين خلال الاجتماع: «أن الموضوع بحاجة إلى إعادة النظر لأن قطع أرزاق 750 منشأة صناعية أمر لا يجوز، ونقل الصناعيين يجب ألا يكون لمنطقة أقل جاهزية من القابون».

اعتراض ومطالبة بإلغاء التوجه بالتنظيم

رفعُ الحرارة أتى من خلال صفحة «صناعيي منطقة القابون» على «فيسبوك»، والتي ورد فيها أن صناعيّي منطقة القابون رفضوا التصريحات المسربة والمنسوبة إلى رئيس مجلس إدارة غرفة صناعة دمشق وريفها، كما ورد فيها ما يلي: «رد عدد من الصناعيين على هذه التصريحات خلال اجتماع الهيئة العامة لغرفة صناعة دمشق وريفها، واعتبروها مرفوضة وغير صحيحة، متحدين وجود اسم صناعي واحد سجل في قائمة الصناعيين الراغبين بالانتقال إلى عدرا الصناعية».

كما نقلت الصحيفة حديث أحد الصناعيين، عاطف طيفور، الذي قال: «إن لجنة صناعيي القابون لديها تواقيع من 750 صناعياً من كامل الصناعيين في المنطقة على قائمة اعتراض على تنظيم المنطقة وتحويلها إلى صفة تجارية وخدمية واستبياناً يظهر نتيجته رفض الانتقال إلى عدرا الصناعية ومعروضاً يطالب بإلغاء التوجه بالتنظيم، وكتباً موجهة إلى كافة الدوائر والغرف والوزارات بالمطالبة بالتراجع عن التوجه».

كما نقلت عن لسان عضو غرفة صناعة دمشق، عماد الدين الحمصي، نفيه جملة وتفصيلاً تراجع صناعيي القابون عن مطالبهم، موجهاً التساؤل التالي لغرفة الصناعة: «ماذا قدمتم لصناعيي القابون؟ لقد تخلّت غرفة الصناعة عنّا، فكيف سيعود الصناعيون السوريون من الخارج، وهم يشاهدون ما يحدث مع زملائهم في البلد، عدا عن خسارة آلاف العمال لأرزاقهم؟».

واقع الحال يقول بأن توازنات القوى بين ممثلي الصناعة وممثلي الربح والاستثمار تميل نحو ممثلي الربح على طول الخط

انتهت فترة الاعتراضات فماذا بعد؟

يُشار بهذا الصدد إلى أن فترة تقديم الاعتراضات على المخطط التنظيمي للقابون الصناعية قد انتهت بتاريخ 2019/8/1، وقد تقدم الكثير من الصناعيين باعتراضاتهم المشفوعة بالكثير من الحيثيات الدستورية والقانونية المؤيدة لمضمون اعتراضاتهم المفندة والمتمحورة على نقاط بعينها، مثل: «نسبة الدمار- المصادرة بمقابل التعويض بأسهم- الاقتطاع بنسبة من الملكية لصالح الخدمات- هدم العقارات الصالحة للعمل- المنع من العمل والحرمان من الماء والكهرباء- تغيير الصفة العمرانية للمنطقة- خسارة السجل الصناعي والتجاري المرتبط بالمكان.. وغيرها الكثير من النقاط الأخرى»، بالإضافة إلى ما تضمنتهُ بعضها من اقتراحات عملية بديلة لتطوير المنطقة، وإعادة تأهيلها مع الحفاظ على حقوق هؤلاء، مطالبين بإلغاء مشروع التنظيم المعلن عنه لما يتسبب به من ضرر وظلم بحق المالكين، وبحق الصناعة والاقتصاد الوطني، مع الأخذ بعين الاعتبار أن جزءاً من الاعتراضات تضمّنت عبارات تعبر عن الاحتفاظ بالمطالبة بالحقوق جراء الأضرار التي ستلحق بهؤلاء بنتيجة مشروع التنظيم المقر.

فهل من الممكن أن نشهد خرقاً صناعياً بهذا الشأن، كون المطالب والاعتراضات مشفوعة بقوة الدستور والقانون؟ أم أن للواقع ومجرياته وتوازناته رأياً آخر بظروفنا الراهنة؟.

لعل الظروف والوقائع تشير إلى أن المحافظة ومن خلفها والمستفيدين من المخططات التنظيمية الموضوعة لمنطقة القابون الصناعية لتصبح خاضعة لأحكام القانون 10 لعام 2018، لن يتراجعوا عن رؤاهم «التطويرية» ذات المحتوى والمضمون الاستثماري والربحي.

واقع الحال يقول: إن توازنات القوى بين ممثلي الصناعة وممثلي الربح والاستثمار تميل نحو ممثلي الربح على طول الخط، خاصةً وأن هؤلاء مستندون إلى موافقة حكومية بهذا الشأن، متوافقة أصلاً مع جملة السياسات الليبرالية المتبعة المحابية لمصالح أصحاب الأرباح على حساب مصالح بقية الشرائح الاجتماعية، بما فيها شريحة الصناعيين.

يبقى أن ننتظر رأي القانون والدستور في حيثيات الاعتراضات التي تقدم بها الصناعيون، وما ستسفر عنه من نتائج، فالملف ساخن ومُستعر، ولُعاب المستثمرين يسيل عليه لتبريده.

شكوى مزمنة لأهالي حي السويداء الغربية

وردت شكوى من أهالي حي السويداء الغربية، طريق شركة ريان بلاست، تتضمن المطالبة بتزفيت وتعبيد الطريق الممتد من غربي مقام عين الزمان والواصل إلى طريق الحج الجديد، ممهورة بتواقيع أهالي هذه الحارة.

■ مراسل قاسيون

وقد تحدث الأهالي لقاسيون عن معاناتهم منذ سنوت خلت بسبب الإهمال والتقصير في ملاقاة مطالبهم وتنفيذ الطريق.

معاينة وتفاصيل

قاسيون من خلال معاينتها للطريق تبين أنه بعرض ستة أمتار، وهو مجهز بأعمدة الإنارة وشبكة صرف صحي، وعلى طول الطريق تم فرش بقايا المقالع فيه.

باسل، أحد سكان الحي، تحدث باسم الأهالي قائلاً: قمنا نحن أهالي حارة السويداء الغربية بتنظيم عدة كتب وعرائض لجهات مختلفة، منها الخدمات الفنية في عام 2010، وتمّت الموافقة على تنفيذ الطريق المذكور وإدراجه ضمن خطة ذلك العام، بميزانية قدرت بمبلغ 430 ألف ليرة سورية، لتعود مديرية الخدمات الفنية بتحويل طلب الأهالي إلى مجلس مدينة السويداء لتنفيذه أصولاً، ولنبدأ بمسلسل تراشق المسؤوليات بين الجهات الرسمية، وتقديم أعذار من كل شكل ولون على شاكلة: «ما في زفت»، ومرة أخرى لا تتوفر ميزانية لإنجاز الطريق، بعد أن زادت تكاليف إنجازه أضعافاً مضاعفة بسبب الأزمة وارتفاع الأسعار الجنوني..

كل هذه الأعذار لم تفلح في كسر نية وإرادة الأهالي في الوصول إلى هدفهم وحقهم، فقاموا بزيارة رئيس مجلس مدينة السويداء في عام 2012، الذي استقبلهم واستمع لشكواهم، وأمر بإرسال أربع سيارات محملة ببقايا المقالع، وفعلاً تم فرش الطريق تمهيداً لتعبيده بمادة الزفت، وتمر السنة تلو الأخرى دون الوفاء بالوعود المقطوعة من المسؤولين للأهالي.

توجيه المحافظ لم يرَ النور

قام الأهالي لاحقاً بتشكيل وفد وزيارة السيد محافظ السويداء وشرحوا معاناتهم، وقد قام بدوره بزيارة ومعاينة الطريق المذكور، وبناء عليه أحال كتاب الأهالي لمجلس مدينة السويداء للتنفيذ أصولاً، لكن لا حياة لمن تنادي!.

أحد الأهالي صرح قائلاً: «لكي نصل إلى بيوتنا في فصل الشتاء نقوم بوضع أكياس النايلون في أقدامنا لنستطيع المرور في الوحل، وفي نهاية الأمر يضحكني: أننا محسوبون حارة من حارات مدينة السويداء».

مواطن آخر قال ساخراً: «لدينا وعود من جميع الجهات المعنية، ولم ترتقِ لمستوى التنفيذ، فلو كل يوم رموا بحصة على مدار السنوات التسع الماضية لكانوا أكملوا رصف وتعبيد الطريق أصولاً إذا بدك كمان..».

وحتى تاريخ إعداد هذه المادة لا زال الأهالي يقتاتون من وعود المسؤولين المعسولة، ولسان حالهم يقول: «على الوعد يا كمون».

قاسيون تضم صوتها لصوت أهالي حارة السويداء الغربية، طريق شركة ريان بلاست، ولمطلبهم المحق، وتطالب الجهات المعنية بتنفيذ الطريق المذكور بالسرعة القصوى، حفاظاً على كرامة المواطنين وحقوقهم، وللحد من معاناتهم المزمنة مع هذا الطريق.

برسم محافظة السويداء.

هل ستبقى جزيرة أرواد للأروادِيين؟

وافق مجلس الوزراء خلال جلسته المنعقدة بتاريخ 2019/7/28 «على كتاب وزارة النقل المتعلق بردم ما يقارب /18/ هكتاراً من المخطط التنظيمي لجزيرة أرواد والواقع ضمن المياه لإنجاز التطوير اللازم للجزيرة وإطلاق المشاريع التنموية فيها»، وذلك بحسب ما ورد على الموقع الرسمي للحكومة.

■ سمير علي

في المقابل، ما زال سكان الجزيرة يعانون من سوء الخدمات العامة فيها، سواء على مستوى القمامة وترحيلها أو على مستوى المعاناة من المياه والكهرباء والصرف الصحي وغيرها، بالإضافة طبعاً إلى توفر مادة الخبز وسوء مواصفته، ولعل الأهم: الواقع الصحي المتردي، والمرتبط بشكل أو بآخر اضطراراً بسوء تنظيم النقل من وإلى الجزيرة، وكذلك الواقع التعليمي والمعاناة من الانقطاعات فيه، المرتبطة غالباً بالظروف الجوية وحال البحر والتي تكون معيقة لوصول المعلمين من طرطوس إليها لمباشرة عملهم في مدارسها.

من عهدة الآثار والمتاحف إلى عهدة السياحة

واقع الحال يقول: إن غالبية الأروادِيين يضطرون إلى مغادرة الجزيرة يومياً لارتباطهم بأعمالهم في مدينة طرطوس، كما أن غالبية هؤلاء وعبر السنين استقروا بشكل نهائي بعيداً عن جزيرتهم، سواءً بسبب الحال الطبيعي المرتبط بالزيادة السكانية في ظل محدودية مساحة الجزيرة الصغيرة، أو بسبب ظروف العمل، ولعل أحد أهم الأسباب كان من خلال وضع يد الآثار والمتاحف على الجزيرة، ومنع أية عمليات ترميم للبيوت فيها على مدى سنين طويلة، بالإضافة إلى عدم تطوير مخططها التنظيمي، الأمر الذي جعل السكن في البيوت الآيلة للسقوط يشكل خطراً على سكانها، مما جعل جزءاً منهم مضطراً لإخلائها حرصاً على سلامتهم وسلامة أبنائهم.

وبعد أن تم تخلي الآثار والمتاحف عن الجزيرة ووضعها بعهدة وزارة السياحة في عام 2009 وجد الأهالي بعض الفرج بذلك، حيث استطاعوا مباشرة بعض عمليات الترميم الضرورية لبيوتهم، واستعاد بعضهم السكن فيها، لكن فرحة هؤلاء لم تكتمل، حيث فرضت عهدة السياحة على الجزيرة أن تصبح ذات طابع سياحي، خاصة مع المشاريع السياحية التي وضعت مخططاتها وبرامجها، بما في ذلك ما جرى على مستوى المخطط التنظيمي للجزيرة من تعديلات ذات جوهر ومحتوى سياحي استثماري، والذي فرض على السكان نمطاً معيناً من الترميم والإكساء والألوان من أجل منح الجزيرة الصورة الموحدة بصرياً، بغاية تكريس تشجيع السياحة فيها، طبعاً مع الإجراءات المرتبطة بعناوين إزالة التشوهات والمخالفات في الجزيرة.

مقترح بالحماية ذهب أدراج الرياح

ربما بهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن الجزيرة سبق وأن وضعت ضمن قائمة الحماية البيئية كمقترح لتكون محمية بيئية طبيعية كما غيرها من المحميات الأخرى، وذلك لما تمتلكه من مقومات فريدة مرتبطة بكونها جزيرة مأهولة لها طابعها الخاص، وكذلك بالنسبة لبعض الكائنات الحية التي تعيش في محيطها المائي الحيوي تاريخياً، وهي تحمل فرادة وصفات إيكولوجية متوازنة خاصة بها، بحسب بعض الاختصاصيين، ولا ندري ماذا سيحل بهذا التوازن البيئي والإيكولوجي بنتيجة إقرار ردم 18 هكتاراً من البحر في محيط الجزيرة، وهي مساحة مائية كبيرة، وما مدى تأثير ذلك على الأحياء المائية فيه؟ فالمقترح من الناحية العملية ذهب أدراج الرياح في ظل تسيّد العقلية الاستثمارية.

الأولوية في الجزيرة أصبحت للسياحة والاستثمار وما تستقطبه من طبقات مخملية باحثة عن الترفيه والترف عبر المنشآت السياحية المرسومة والمخططة للجزيرة

الأولوية للاستثمارات

سنوات الحرب والأزمة كانت وبالاً على الأروادِيين كما على غيرهم من المواطنين، وخاصةً على مستوى التردي الخدمي والذرائع المساقة باسم الحرب والأزمة والاعتمادات والسيولة وغيرها، لكن سنوات الحرب والأزمة وذرائعها لم تكن عائقاً أمام شهية الاستثمار والمستثمرين، وفي ظل أنماط الترويج السياحي لاستقطاب المزيد من الاستثمارات السياحية في الجزيرة، حيث أصبح الأروادِيون في حياتهم ومعاشهم على هامش الاهتمامات الرسمية، بل وفي ذيلها.

فالأولوية في الجزيرة أصبحت للسياحة والاستثمار، وما تستقطبه من طبقات مخملية باحثة عن الترفيه والترف عبر المنشآت السياحية المرسومة والمخططة للجزيرة، من مطاعم ومسابح وفنادق ومقاه وملاه ورحلات بحرية سياحية، ورصيفٌ بحريٌ يستقطب اليخوت والألعاب المائية وغيرها من العناوين الاستثمارية الكثيرة، التي ستتوفر لها البنية التحتية من مياه وكهرباء وصرف صحي واتصالات وخدمات صحية و... ليأتيَ أخيراً إقرار المخطط التنظيمي بتوسعه على حساب البحر، بما يعادل مساحة الجزيرة الأصلية، حيث تقدر مساحة الجزيرة بوضعها الراهن بحدود 20 هكتاراً، والمأهول منها يقدر بحوالي 14 هكتاراً، بينما يقارب التوسع بحسب المخطط المعلن حوالي 18 هكتاراً.

فالمخطط التنظيمي للجزيرة يتضمن العديد من المشاريع السياحية، منها مثلاً، بحسب ما رشح عبر وسائل الإعلام: مطعم على شكل سفينة يقع على الكورنيش الشرقي، بالإضافة إلى مول تجاري مع نادي غطس يقعان على الكورنيش الجنوبي فيها، ومطعم على الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة، وغيرها من المشاريع التي تقوم وزارة السياحة بطرحها للاستثمار تباعاً، ومع المخطط الجديد ستظهر مشاريع استثمارية وسياحية جديدة لا شك.

أمام هذه الحال يتساءل الأروادِيون: هل ستصبح جزيرتهم عبارة عن نموذجين متباينين ومتلاصقين، نموذج الجزيرة القديمة بواقعها الفقير المتهاوي والمتردي خدمياً، ونموذج حديث مرتبط بالاستثمارات السياحية ومشآتها الحديثة ذات النجوم المخصصة لروادها من المترفين والأثرياء؟.

ولعل السؤال الأهم على مستوى آليات الاستقطاب السياحي الترفي المُعد للجزيرة مستقبلاً، هو: أين ستصبح السياحة الشعبية للمواطنين من كل ذلك؟ فبرغم كل الواقع المتردي خدمياً وسياحياً طيلة العقود الماضية فقد كانت الجزيرة نقطة استقطاب للسياحة الشعبية.

أرواد ليست للأروادِيين

المؤشرات والدلالات المرتبطة بالنموذج الليبرالي للسياسات المعتمدة تقول: إن جزيرة أرواد ربما لن يبقى فيها أروادِيون، وربما يكون ذلك في المستقبل القريب وليس البعيد، وذلك ارتباطاً بسرعة إنجاز المشاريع السياحية الاستثمارية المزمعة، اللهم باستثناء من يستطيع من هؤلاء الاستمرار بعمله ذي الطابع الحرفي التقليدي الخاص بصناعة السفن الخشبية ذات الطراز والنموذج الفريد والخاص بالجزيرة، وهؤلاء أصبحوا قلة أصلاً، وربما البعض ممن يتمكن من الحصول على فرصة عمل في بعض المنشآت السياحية المزمعة فيها، وما عدا ذلك سيضطر للرحيل عنها، خاصةً بسبب عمليات المضاربة التي ستجري على البيوت في الجزيرة بنتيجة إقرار المخطط التنظيمي الجديد، والتي ستكون مغرية في ظل عدم التمكن من مواكبة النماذج السياحية المرسومة للجزيرة.

النتيجة: إن جزيرة أرواد ستصبح حكراً للمترفين والأثرياء والمستثمرين دوناً عن عموم المواطنين، بما في ذلك أهلها وسكانها التاريخيون.

وفقاً لتقديرات منظمة العمل الدولية الأخيرة، بلغ عدد العاملين في العالم 3,12 مليار شخص في عام 2015، منهم 1,66 مليار شخص «51,5 في المائة» من العاملين بأجر ورواتب. يظهر تقرير منظمة العمل الدولية 2018-2019 استمرار بعض الاتجاهات البنيوية في توزيع الدخل وتسارعها في العقد الذي تلى الأزمة الاقتصادية.

الأجور في العالم:

بين زيادة استغلال العمل واللامساواة في توزيعها

تستمر الصين بقطر نمو الأجور الحقيقية في العالم، في سياق النمو البطيء أو السلبي للأجور في دول المركز التقليدي.
كما يظهر التقرير ارتفاع الفجوة بين معدلات نمو إنتاجية العامل ومعدلات نمو الأجر الحقيقي، مما يعني ارتفاع مستوى استغلال العمل وتوزيع الدخل لصالح الأرباح بشكل متزايد. كما يوضح التقرير استحواذ ذوي الأجور المرتفعة جداً على حصة الأسد من كتلة الأجور العالمية، كما يبين الفارق الكبير في الأجور بين النساء والرجال العاملين.

1- متوسط النمو العالمي للأجور الحقيقية 2006-2017-%

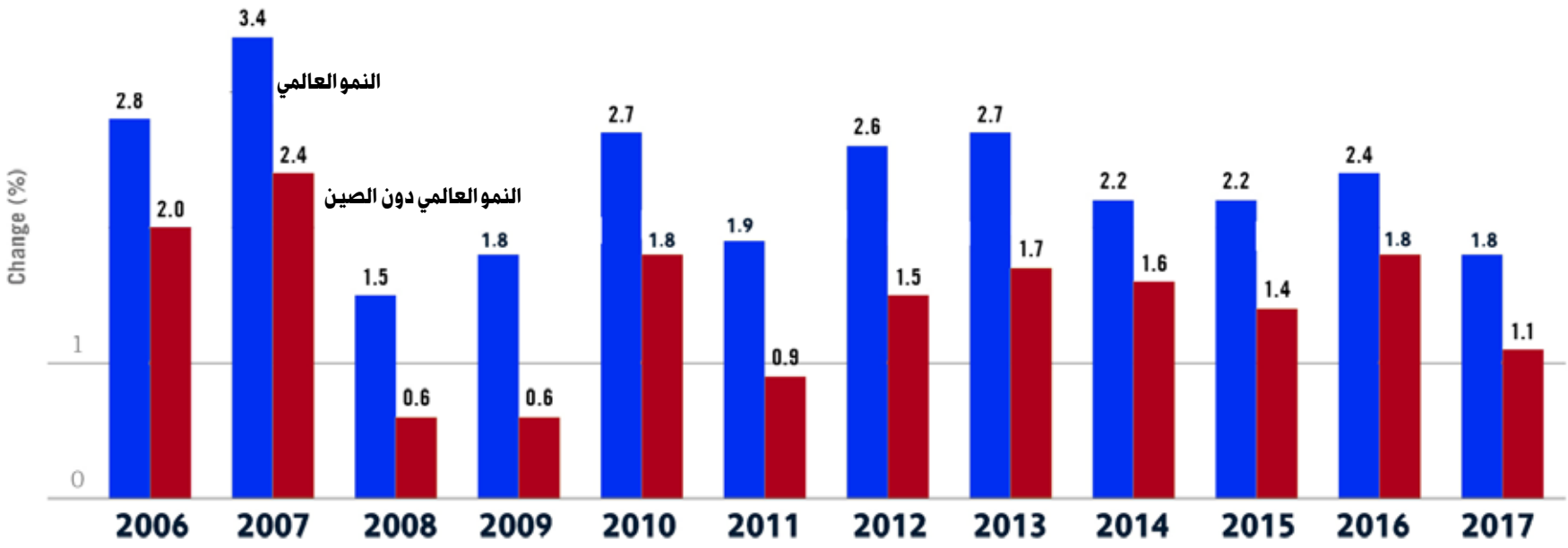

انخفض النمو العالمي للأجور الحقيقية بشكل حاد خلال أزمة 2008، وبقي الاتجاه العام نحو الانخفاض. فبينما نمت الأجور عالمياً بنسبة 3,4% وسطياً في 2007، أصبحت تنمو بنسبة 1,8% فقط في 2017. الصين هي مساهم أساسي في نمو الأجور، إذ ساهمت في 2017 بنسبة تقارب 40% من نمو الأجور العالمي، وتعتبر قاطرة لنمو الأجور في العالم.

تنمو الأجور الحقيقية ببطء نسبياً في الدول المتقدمة منذ عام 2008، حيث أعلى معدل نمو سجلته كوريا الجنوبية لم يتعدى 15% خلال عشر سنوات، وفي ألمانيا 11%، 8% في فرنسا، و7% في الولايات المتحدة. أما في اليابان فإن الأجور الحقيقية خلال هذه الفترة لم ترتفع، بينما تراجعت الأجور الحقيقية في كل من إيطاليا وبريطانيا بنسبة تزيد على 5%.

تنمو الأجور الحقيقية في معظم الدول الناشئة اقتصادياً، وتحديداً دول مجموعة العشرين، فمنذ عام 2008 زاد متوسط الأجور بأكثر من الضعف في الصين، وارتفع بنسبة 55% في الهند، وبنسب تتراوح بين 20 و55% في معظم البلدان الأخرى في هذه المجموعة، وضمن هذه المجموعة لم ينخفض سوى الأجر الحقيقي للعمال في المكسيك بنسبة فاقت 15%.

2- متوسط مؤشر الأجور الحقيقية لبلدان دول المركز مجموعة العشرين ، 2006 – 2015

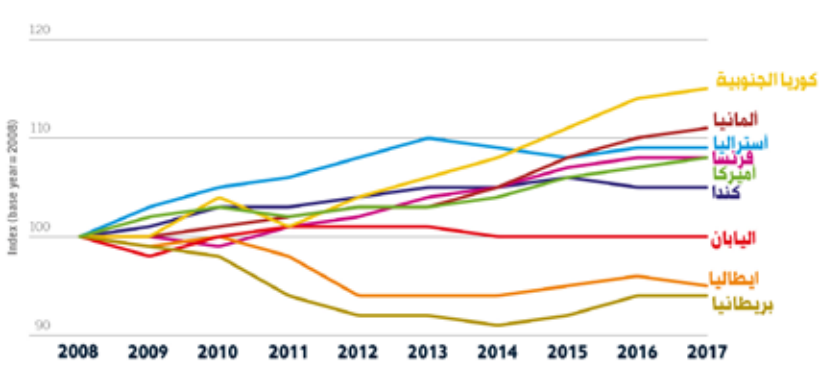

3- متوسط الأجور الحقيقية لبلدان مجموعة العشرين الناشئة، 2006 – 2015

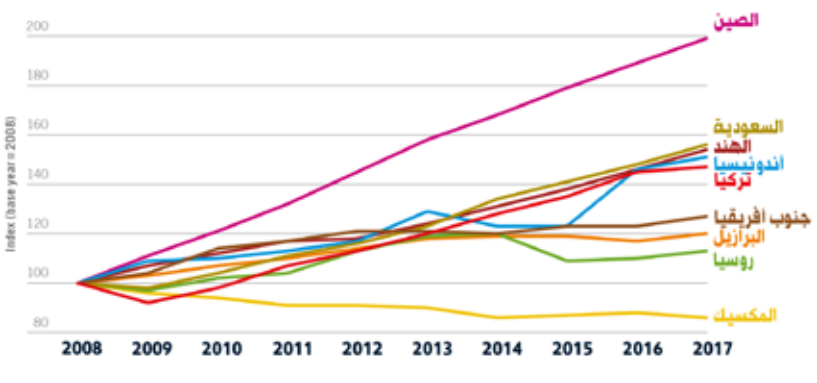

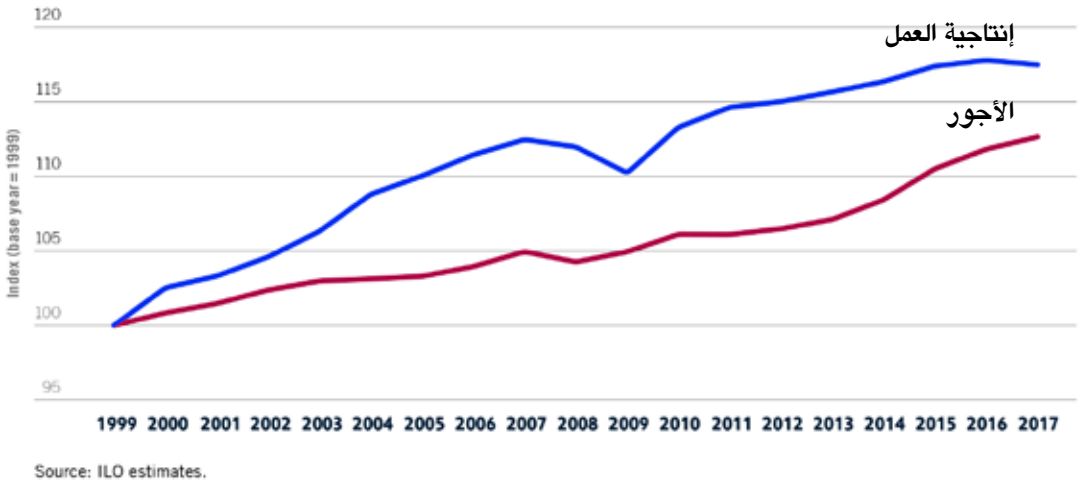

نمت إنتاجية العمال في اقتصادات الدول المتقدمة الكبرى، بمعدل أعلى من نمو الأجور الحقيقية، منذ أوائل الثمانينيات من القرن الماضي. فبمعدل وسطي ازدادت إنتاجية العمال منذ مطلع الألفية بنسبة تقارب 17% بينما لم ترتفع الأجور الحقيقية إلا بنسبة 13% تقريباً. واتساع الفجوة بين الإنتاجية والأجور الحقيقية، يشير إلى ارتفاع شدة استغلال العمال، وإلى توزيع الثروة لصالح الأرباح.

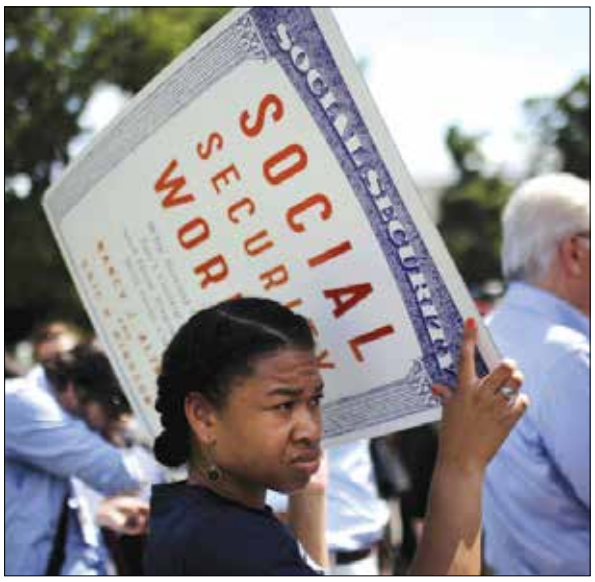

تعتبر الفوارق بالأجور بين النساء والرجال واحدة من ظواهر اللامساواة العالمية في ظروف العمل بين الجنسين، ويظهر الشكل استمرار الفجوة بالأجور بين العمال الذكور والإناث. إذ بلغ الفارق بالأجور بين الجنسين ما يقارب 17% في بريطانيا. و15% في كل من الولايات المتحدة وكندا، وعلى المستوى العالمي قارب 19% زيادة في أجور الرجال عن أجور النساء.

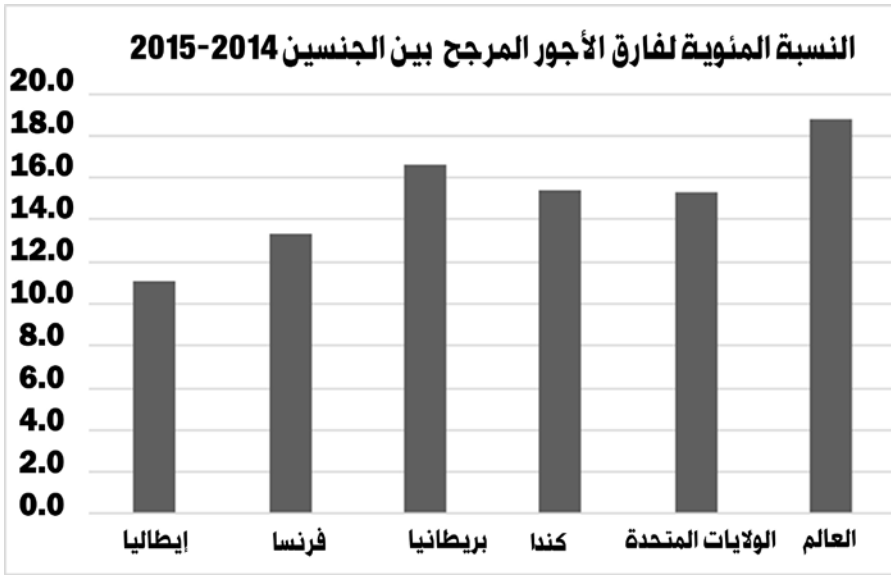

من ضمن المقاييس الشائعة لعدم المساواة في الدخل هو تقسيم أصحاب الأجور إلى عشرة أعشار حسب حصتهم من الأجور الكلية من الأعلى إلى الأدنى. يوضح الشكل أن الـ 10% أصحاب الأجور الأعلى في أوروبا ينالون أكثر من ربع الأجور الكلية الشهرية. أما الـ 50% من أصحاب الأجور الأدنى يكسبون فقط 29% من الأجور. كما يظهر الشكل اللاعدالة في التوزع الجنسي بين شرائح الأجور المختلفة. إذ يبلغ معدل تمثيل المرأة في الشرائح الـ10% أصحاب الأجر الأعلى فقط 3 نساء من كل عشرة أشخاص. مقابل ست نساء من كل عشر أشخاص في شريحة الـ 10% من أصحاب الأجر الأدنى.

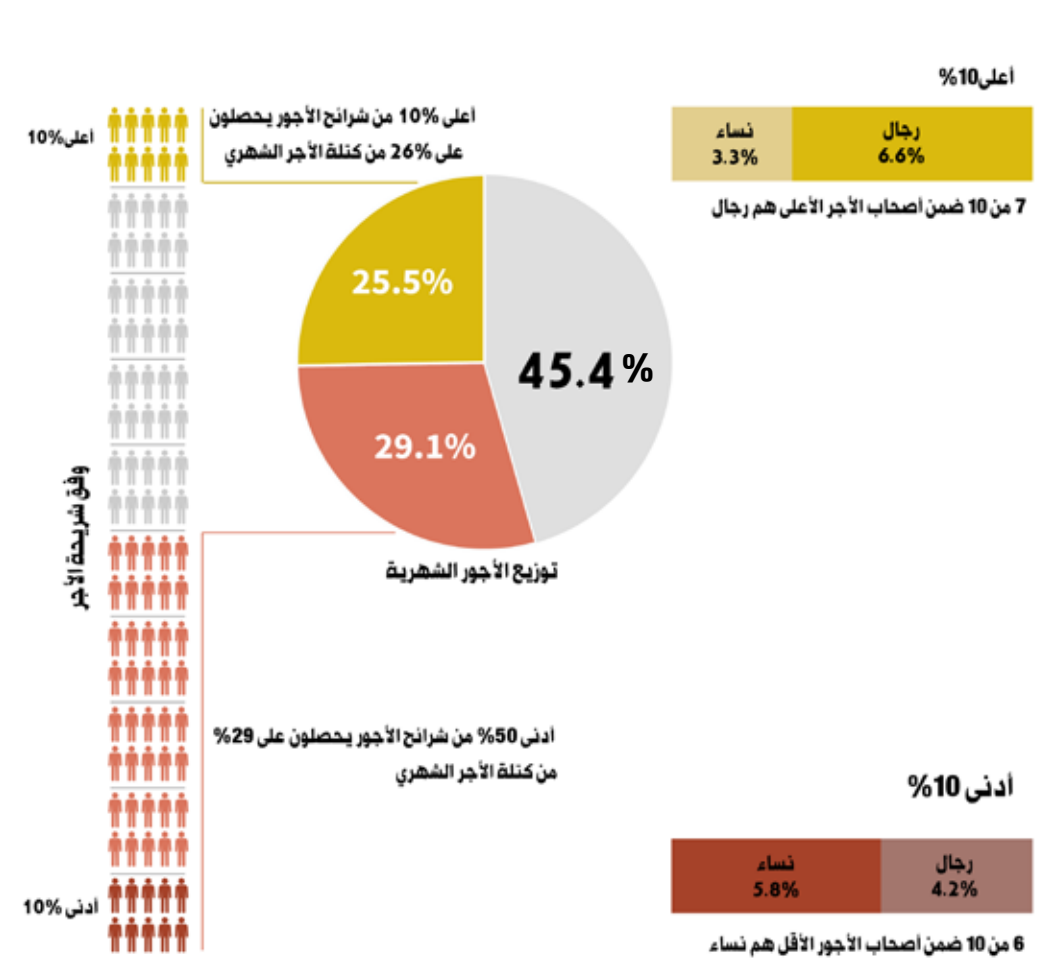

الصادرات السورية: خام- ومتراجعة في 2018

على أبواب معرض دمشق الدولي، والحديث عن قَطْع التصدير... من المفيد العودة إلى بيانات التجارة الدولية حول الصادرات السورية، التي يقدمها مركز التجارة الدولي ITC عن عام 2018، والتي يتّضح فيها نمط واتجاه الصادرات.

■ عشتار محمود

السوق العالمية ليست مغلقة أمام المنتجات السورية، حيث يمكن تصدير أية مادة وإلى أية دولة، ولكنّ كميات الصادرات لا تزال قليلة ومتراجعة، ومن طابع متناسب مع ظرف النشاط الاقتصادي السوري الراكد، وغير الإنتاجي...

الوجهة الجغرافية الخليج وتركيا

تراجعت الصادرات في عام 2018 عن مستوى عام 2017 بنسبة 1%، وبلغت قيمتها الإجمالية: 713 مليون دولار. الوجهة الأساسية للصادرات السورية، هي دول المحيط الإقليمية: السعودية أولاً: 106 مليون دولار، لبنان ثانياً: 97 مليون دولار، ثم مصر والأردن 86–70 مليون دولار على التوالي، تليها تركيا 69 مليون دولار.

زادت الصادرات إلى دول الخليج عبر الأردن، وتحديداً إلى السعودية حيث نمت الصادرات إليها بنسبة 32% بين 2017–2018.

دولٌ، مثل: إيران وروسيا تأتي في مواقع متأخرة جداً في قائمة الوجهات المصدّر إليها، وفي الترتيب 16 لإيران، و22 لروسيا، وبقيم لا تتجاوز 6,7– 4,2 مليون دولار بالترتيب، رغم كل اللقاءات والتصريحات على أعلى المستويات.

تصدير فوائض خام زراعية

معظم الصادرات هي مواد خام زراعية قرابة 400 مليون دولار، ونسبة 56% تقريباً، والباقي أحجار ومعادن، والقليل من الألبسة.

الزيتون، هو المنتج الأعلى تصديراً، 132 مليون دولار بزيادة 46% عن العام الماضي، وهو يُصدّر إلى وجهتين أساسيتين: إسبانيا أولاً، والسعودية ثانياً، ثم الكويت. الملفت، أن السعر الوسطي لكغ زيت الزيتون المصدّر لا يتعدى 1600 ليرة للكغ، وهو قريب من السعر الوسطي للمستهلك في سورية، الذي يتراوح بين 900–2000 ليرة للكغ حسب الأنواع. حيث إن زيت الزيتون يباع داخل البلاد بسعر أعلى من سعر التصدير العالمي.

يلي الزيتون، المكسرات بقيمة 53 مليون دولار، تُصدّر للأردن بالدرجة الأولى وبسعر للكغ يقارب 7600 ليرة لوسطي الأنواع. تليها الفواكه وتحديداً التفاح بحوالي 30 مليون دولار، وتتباين أسعاره التصديرية بين 233 ليرة للكغ مباعاً للسعودية، وصولاً إلى 450 ليرة للكغ مباعاً للأردن.

صادرات النباتات الطبية والعطرية تقارب 72 مليون دولار، بوسطي لسعر الكغ 1100 ليرة، وجهتها مصر بالدرجة الأولى، إضافة إلى الخضار الطازجة أيضاً، بقيم تقارب 32 مليون دولار. كما أن هناك صادرات القطن الخام بمقدار 18 مليون دولار تذهب لتركيا فقط، بسعر للكغ يقارب 680 ليرة.

صادرات الفوسفات والمعادن

ازدادت صادرات الفوسفات بمقدار ستة أضعاف، ولكنها لا تتعدى 30 مليون دولار، بسعر وسطي للطن 82 دولاراً وحوالي 41 ألف ليرة، وجهتها الأساسية: صربيا واليونان وتركيا، ومن ثمّ إلى إيران، ولكن بسعر أعلى يرتفع إلى 100 دولار للطن! كما استمر تصدير المعادن الأخرى وتحديداً الرصاص بما يقارب 19 مليون دولار تتجه إلى لبنان بالدرجة الأولى، والقليل إلى تركيا. والنحاس بمقدار: 13 مليون دولار تذهب إلى تركيا بكاملها. وهي بالحالتين رصاص ونحاس غير معالج.

صادرات الألبسة ميزان خاسر

صادرات الألبسة هي تقريباً الصادرات الوحيدة المصنعة بشكل نهائي، ولكن قيمها لا تزيد عن 30 مليون دولار، ووجهتها الأساسية الكويت والأردن والسعودية ولبنان. والمشكلة فيها عدا عن الكميات القليلة أن الميزان التجاري للألبسة خاسر، حيث المستوردات من أصناف الألبسة المصدّرة هي ضعف قيمة اللباس المصدّر. حيث بلغت مستوردات 61 مليون دولار تقريباً بعجز 31 مليون دولار.

صادرات المواد الكيميائية

تبلغ صادرات من نوع الصناعات الكيميائية، وتحديداً المنظفات مقداراً يقارب 16 مليون دولار، تصدّر إلى لبنان والأردن بالدرجة الأولى. ولكن هذه الصادرات أيضاً خاسرة بالميزان التجاري، حيث إن المستوردات من الأصناف ذاتها تبلغ 42 مليون دولار تقريباً، والميزان خاسر بما يزيد عن 25 مليون دولار. وصادراتها بسعر 420 ليرة للكغ وسطياً.

تعكس طبيعة الصادرات نمط الإنتاج الاقتصادي فالتصدير ريعي يعتمد على فوائض الزراعة الخام بنسبة تفوق 56%

قيم الصادرات السورية خلال تسعة أعوام- مليون دولار

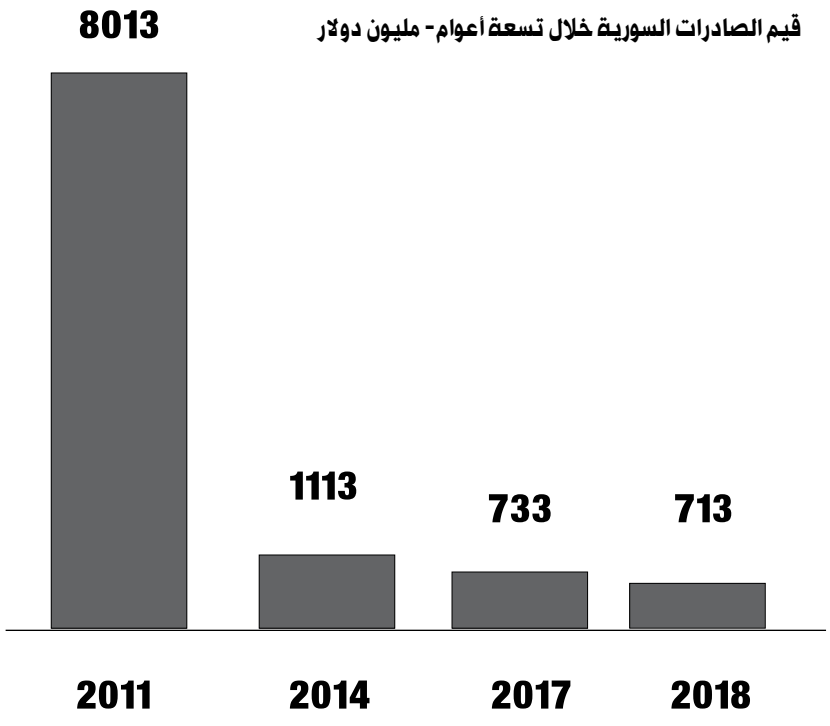

31 مليون دولار

العجز التجاري في صادرات الألبسة يقارب 31 مليون دولار حيث المستوردات من الأنواع المصدرة ضعف الصادرات.

32 مليون دولار

يتم تصدير ما يقارب 32 مليون دولار من الرصاص والنحاس غير المعالج وهي منتجات غير محلية ولكنها من مخلفات الحرب.

مسلسل حرائق الحِراج والغابات يقرع الأبواب بشدة

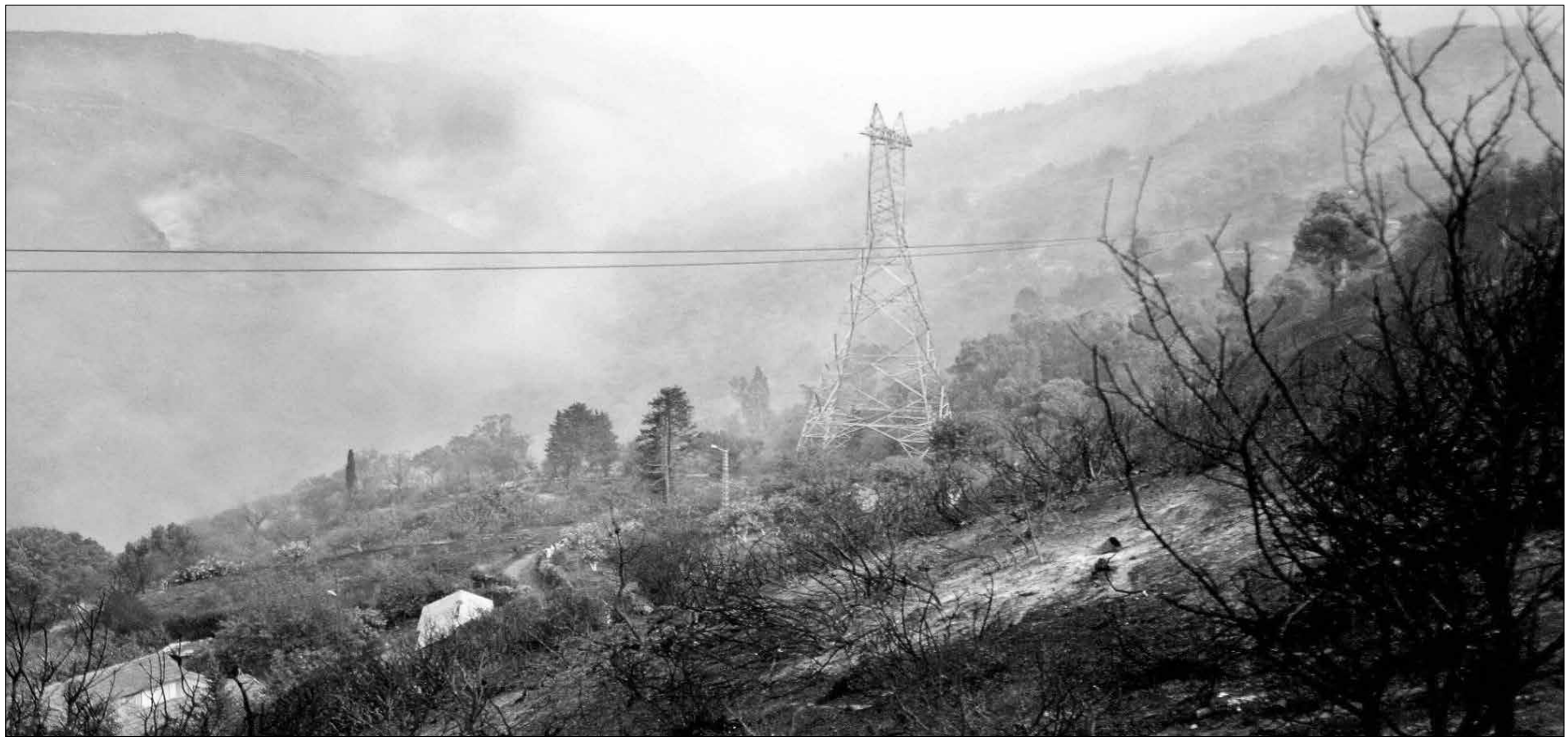

لم تتوقف الحرائق طيلة الشهور الماضية، لكنها كانت بغالبيتها تطال الأراضي الزراعية والمواسم، وقد كان لارتفاع درجات الحرارة ومتغيرات الأحوال الجوية، وزيادة انتشار الأعشاب الجافة التي نجمت عن زيادة الهطل المطري خلال فصل الشتاء الماضي، النصيب الأكبر من المسؤولية حِيال زيادتها، وتوسع انتشارها، مع عدم نفي دور العامل البشري بذلك، إهمالاً أو قصداً، في بعض الأحيان.

■ عادل ابراهيم

ومع بداية شهر تموز بدأت الحرائق تأتي على الأحراج والغابات في المنطقة الوسطى والساحلية، لتتصاعد عدداً وتتوسع مساحة مع الاقتراب من فصل الخريف، كما جرت العادة كل عام، وطبعاً تُعزا أسباب بعضها لارتفاع درجات الحرارة ومتغيرات الأحوال الجوية، وزيادة انتشار الأعشاب الجافة، بمقابل استمرار تحميل مسؤولية غالبيتها للمحتطبين والمفحمين من قبل الأهالي المتضررين في مناطق نشوبها وانتشارها.

رصد الحرائق خلال شهر تموز

نستعرض فيما يلي بعض ما تم توثيقه من حرائق من خلال المعلومات الواردة على موقع سانا خلال شهر تموز:

بتاريخ **2019/7/1**، أخمد عناصر فوج إطفاء طرطوس **11** حريقاً شبت في مناطق مختلفة من مدن وريف المحافظة، وبَيّن قائد فوج الإطفاء في تصريح لمراسلة سانا أن أكبر الحرائق امتد على مساحات واسعة في موقع عمريت جنوب مدينة طرطوس، شارك في إخماده **23** سيارة إطفاء وآلية هندسية من مختلف الدوائر الحكومية في المحافظة موضحاً: أن الحريق أتى على الكثير من الأعشاب اليابسة وأشجار الكينا المحيطة بالموقع.

بتاريخ **2019/7/4**، أخمدت فرق إطفاء الهيئة العامة لإدارة وتطوير الغاب حريقاً اندلع في الحِراج المطلّة على سهل الغاب في منطقتي نهر البارد وعين الكروم، وذكر المدير العام للهيئة في تصريح لمراسل سانا: أن النيران التهمت مساحات من الحِراج والغابات التابعة لبلدتي عين الكروم ونهر البارد في مناطق جبلية، مشيراً إلى أن الرياح الشديدة في المنطقة ووعورة تضاريسها أديا إلى صعوبة إخماد النيران فضلًا عن انتشار الأعشاب اليابسة التي أججتها.

بتاريخ **2019/7/9**، تضرر نحو **24** ألف دونم من الأراضي الزراعية والحراجية جراء الحرائق التي شهدتها محافظة حماة خلال فصل الصيف الحالي، وأوضح رئيس قسم الحراج في مديرية زراعة حماة لمراسل سانا: أنّ الأراضي الواقعة تحت إشراف عمل المديرية شهدت حدوث **178** حريقاً زراعياً أدت إلى تضرر مساحة **23737** دونماً مقابل **17** حريقاً حراجياً أتت على مساحة **156** دونماً أغلبها في منطقة مصياف، مبيناً: أن الحرائق كانت لأسباب مختلفة كالحرارة المرتفعة، ورمي أعقاب السجائر، وحرق بقايا المحاصيل الزراعية وامتدادها إلى المواقع الحراجية.

بتاريخ **2019/7/17**، أخمد عناصر فوج الإطفاء في محافظة طرطوس ثماني حرائق نشبت بالأراضي الزراعية والحِراجية والأعشاب في مناطق مختلفة من المحافظة، واقتصرت أضرارها على الماديات، وأوضح قائد فوج إطفاء طرطوس في تصريح لمراسلة سانا: أن أكبر الحرائق التي تعامل معها الفوج كانت في أراض زراعية وحراجية في قرية بحنين، والذي امتد على مساحات واسعة لوعورة الطريق وصعوبة وصول سيارات الإطفاء إلى المكان.

بتاريخ **2019/7/23**، أخمد عناصر فوج إطفاء طرطوس ستة حرائق شبت في مناطق مختلفة من ريف المحافظة، واقتصرت الأضرار على الماديات.. قائد فوج إطفاء طرطوس قال في تصريح لـ سانا: «إن أكبر الحرائق كانت في قرية البطار بالقرب من قلعة المرقب في مدينة بانياس لوجود مساحات واسعة من الأراضي الزراعية المهملة، والتي تنتشر فيها الأعشاب اليابسة وبعض الأشجار المثمرة».

بتاريخ **2019/7/28**، أخمد عناصر فوج إطفاء الهيئة العامة لإدارة وتطوير الغاب بمؤازرة فرق إطفاء من محافظتي طرطوس واللاذقية ومنطقة مصياف حريقاً اندلع في الحِراج الواقعة بأعالي قرية نبع الطيب في منطقة الغاب، وأشار مدير الهيئة العامة لإدارة وتطوير الغاب في تصريح لمراسل سانا إلى أن الحريق الذي نشب في وقت مبكر من صباح اليوم سببه رمي عقب سيجارة بمحاذاة طريق عام القرندح الغاب، وامتّد نتيجة الرياح نحو الأراضي الزراعية ومنازل القرية، مبينا: أن وعورة تضاريس المنطقة والرياح الشديدة، وانتشار الأعشاب الحولية اليابسة جميعها عوامل ساهمت في تأجيج النار وصعوبة إخمادها.

بتاريخ **2019/7/31**، أخمد عناصر فوج إطفاء الهيئة العامة لإدارة وتطوير الغاب في محافظة حماة بمؤازرة فرق إطفاء من محافظة اللاذقية ومنطقة مصياف، حريقاً اندلع في غابات الصنوبر على جانبي طريق بيت ياشوط نهر البارد في منطقة الغاب، وأشار مدير الهيئة العامة لإدارة وتطوير الغاب في تصريح لمراسل سانا: أنّ الحريق الذي نشب امتد نتيجة الرياح الشديدة نحو الحِراج التي تضم أشجار الصنوبر مبيناً: أنّ وعورة تضاريس المنطقة والرياح الشديدة وانتشار الأعشاب الحولية اليابسة أسهم في تأجيج النّار وصعوبة إخمادها.

اقع المسلسلات السنوية للحرائق بالأحراج والغابات أصبحت تفرض ضروراتها على مستوى مكافحتها وضبط المستفيدين منها فالموضوع تجاوز مرحلة الخطر

الخبرات تقول: إن المسلسل في بداياته

يبدو من المبكر الحديث عن إجمالي المساحات التي أتت عليها الحرائق أعلاه، وحجم الأضرار التي نجمت عنها على مستوى الطبيعة والبيئة والخسائر العامة والخاصة، باعتبار أن موسم الحرائق في الغابات والأحراج يعتبر في بداياته، حيث لم ترد أية معلومات موثقة عن تلك المعلومات.

بالمقابل، فإن الخبرة والتجارب المتراكمة خلال السنوات الطويلة الماضية عن الحرائق، سواء عند الأهالي والسكان في المدن والبلدات المنتشرة في المناطق الحِراجية وفي محيط الغابات، أو لدى المتتبعين والراصدين لها، تقول: إن الحرائق أعلاه تُعتبر مقدمة للمسلسل السنوي الذي سيمتد طيلة الشهور القادمة وصولاً لبداية فصل الشتاء، وفي ظل هذه المقدمة من الحرائق الكثيفة عدداً والمتسعة مكاناً فمن المتوقع أن تكون الحلقات القادمة منها أكثف وأوسع، خاصة وأن واقع التعامل مع الحرائق بمسلسلاتها السنوية لم يتغير في ظل محدودية الإمكانات المتاحة لفرق الإطفاء «كادرات- تجهيزات- آليات..» واللوجستيات المتوفرة «طرق- ممرات..»، مع عدم إغفال ما يتعلق بضبط الفاعلين المستفيدين والمتكسبين من بعضها في حال ثبوت أنها مفتعلة، وهو ما درجت عليه أقوال وأحاديث ومطالب الأهالي في تلك المناطق.

تحولات مطلوبة وضرورية

لا شك أن واقع المسلسلات السنوية للحرائق بالأحراج والغابات أصبحت تفرض ضروراتها على مستوى مكافحتها وضبط المستفيدين منها، فالموضوع تجاوز مرحلة الخطر على هذا المستوى، فالغابات والأحراج تنحسر سنوياً، كما أنّ بعض الأنواع النباتية، وبعض أنواع الأشجار أصبحت بِعداد المنقرضة، علماً بأن بعضها فريد ومحصور وجوده في بيئته الخاصة في مناطقنا فقط، ومع انحسار الأحراج والغابات تنحسر أيضاً الكثير من الكائنات الحية، حيوانات وطيوراً وحشرات، التي تعيش فيها كبيئة طبيعية لها، وصولاً لانقراض بعضها أيضاً، أي: أن الخسائر التي يجري الحديث عنها لا تقتصر على ما نفقده من أشجار فقط، بل ما نخسره على مستوى التوازن البيئي العام بامتداداته وتشابكه الحيوي، بما في ذلك تلك الانعكاسات التي تطال البشر أنفسهم، حيث تعتبر بعض الخسائر غير قابلة للتعويض، وبعضها الآخر ربما يحتاج لمئات السنين.

فهل من الممكن أن نشهد تلك التحولات الضرورية بالنظر لمشكلة الحرائق من قبل المعنيين والمسؤولين على أنها أصبحت خطراً داهماً وكارثياً، وبما يؤمن المتطلبات الكفيلة بالحد منها بداية وصولاً إلى عدم انتشارها وإخمادها، من أجل الحفاظ على ما تبقى من الأحراج والغابات وما فيها من كائنات، أم أن الحال سيبقى على ما هو عليه من تآكل سنوي للمساحات الحِراجية وللغابات، وللخسائر غير القابلة للتعويض، وكأن المعنيين غير معنيين!.

مشاريع الدماغ

تزايدت في الآونة الأخيرة عدد المشاريع التي تتناول دراسة الدماغ بشكل موسع ومنها: Blue Brain Project السويسري وHuman Brain Project الأوروبي و Brain Initiative الأمريكي، ومبرر هذه المشاريع المعلن، هو: تصحيح أمراض الدماغ، حيث ثلث سكان أوروبا مصابون باضطرابات مرتبطة بالدماغ حسبما يقول المشروع، وتبلغ تكاليف علاج هذه الأمراض أكثر من تكاليف علاج السرطان والسكري والقلب سوياً «في سويسرا على سبيل المثال» «نحن نعلم أن معظم هذه الأمراض العصبية والنفسية مرتبطة بعدم قدرة الإنسان المعاصر على التأقلم مع نمط الحياة المعادي للإنسان والطبيعة معاً.

■ قاسيون

الإنسان يعيش حالياً أكثر بسبب تقلص المشاكل الصحية العامة عموماً، وأصبح بحاجة لدماغه لفترة أطول من العمر.

يوجد في الدماغ حوالي 100 مليار خلية، وحوالي100 مليون بروتين، ويبدو أن إمكانية اختبار الأدوية على الحيوانات لا توفر معلومات حقيقية عن تأثيرها على البشر.

من أجل الحصول على نتائج صلبة للأبحاث المتزايدة عاماً بعد عام، والتي وصلت إلى أكثر من 100 ألف بحث سنوياً، فالعلم بحاجة إلى دمج هذه الأبحاث بطريقة تؤمن الاستفادة القصوى من هذه النتائج، عمليات دمج الأبحاث في نماذج مستقلة لم تعط نتيجة. لذا تم الاستعانة بالفيزيائيين لأنهم نجحوا في الدمج لكن لم تنجح نفس الطريقة في البيولوجيا، لأن التبسيط الشديد لا يفيد في منظومة معقدة.

إن النموذج الوحيد مركب من فرضية وطريقة أو نموذج عمل وحلول ممكنة مع خط راجع في حال عدم الحصول على النتائج المطلوبة لتصحيح الطريقة. ودمج النماذج حاسوبياً عملية إجرائية دقيقة والتحقق من كل نموذج ضمن مجموعة النماذج المدموجة يحتاج إلى خوارزمية متعددة القيود، وهكذا يمكن التنبؤ بأشياء لم يكن من الممكن التنبؤ بها بنموذج أحادي من خلال تراكم البيانات، والنماذج الرابطة لها والمرتبطة بالبيانات، وبالتالي، ردم الفجوات العلمية.

هذه المعايير تمّت استعارتها من الفيزياء النانوية إلى الدماغ ومروراً بفيزيولوجيا الدارة العصبية، وتشريح الدارة العصبية، والفيزيولوجيا العصبية والتشريح العصبي والقنوات العصبية والكهرباء الفيزيولوجية، بدءاً من الفأر ووصولاً للإنسان.

مشروع الدّماغ الأزرق

من أجل بناء محاكاة مُحوسبة للشّبكات العصبيّة في الدّماغ، يوجد في أدمغتنا 1011 عصبونات «خلايا عصبيّة». لو كان لكلّ إنسان يعيش اليوم على الكرة الأرضية 100 ابن، لكان عدد الأشخاص في العالم مشابه لعدد العصبونات في الدّماغ الواحد! إنّ قشرة الدّماغ «cortex»، ذلك النّسيج المنحني والرّقيق «الذي يصل سمكه إلى ميليمترين اثنين» الموجود تحت الجمجمة، هي المسؤولة عن أرفع الوظائف الدّماغيّة. هذا النّسيج متطوّر جدّاً لدى الثّدييّات المتطوّرة.

أعمدة في قشرة الدّماغ

تشير الأدلّة التّجريبيّة إلى أنّ قشرة الدّماغ مرتّبة في شبكة من الأعمدة «حجم كلّ عمود فيها هو ميليمتر مكعّب تقريباً». في كلّ عمود كهذا في قشرة الدّماغ، يوجد ما بين عشرة آلاف ومئة ألف خليّة، تترابط فيما بينها بما يعادل مليار رابط. كما تشير الأدلّة إلى أنّ لكلّ عمود كهذا هناك وظيفة حسابيّة محدّدة، مثل: معالجة المعلومات القادمة من شعرة معيّنة في شارب الجرذ أو تمييز خطوط بزوايا معيّنة «45 درجة، مثلاً» في الجهاز البصري. تفيد الفرضيّة الأساسيّة اليوم: أنّ كل عمود قشري كهذا يشكّل وحدة حسابيّة عامّة وأساسيّة في قشرة الدّماغ.

تبحث التّوجّهات الحسابيّة في مجال بحث الدّماغ، من جملة الأمور، عمليّة معالجة المعلومات في شبكات العصبونات. في العقود الأخيرة، أحرز تقدّم في فهم الطّريقة التي يقوم فيها العصبون الواحد- وهو وحدة المعالجة الأساسيّة في الدّماغ- بإنجاز عمليّاته الحسابيّة. تُمكّن المحاكاة المحوسبة للعصبونات الباحثين من وصف النّشاط الكهربائي والحسابي الذي يجري في عصبون واحد بصورة مفصّلة.

على الرغم من ذلك، تمّ وصف النّشاط الشّامل للشّبكات العصبيّة الكبيرة حتّى الآن بصورة في غاية التبسيط، حيث يتم تجاهل عدد كبير من التّفاصيل البيولوجيّة، مثل: البناء المفصّل للعصبون الواحد ومواقع الرّوابط المشبكيّة على طول العصبون. أحد أسباب إهمال هذه العوامل هو غياب الموارد الحسابيّة اللازمة لحل المعادلات الرّياضيّة الهائلة التي تساهم في وصف نشاط الشّبكة.

هل توجد لدينا معلومات كافية لإعادة بناء النّشاط الكهربائي المعقّد في شبكة كبيرة من العصبونات في قشرة الدّماغ؟ ما الذي ينقصنا من المعرفة للقيام بذلك؟

أسئلة أساسية

هل توجد لدينا معلومات كافية لإعادة بناء النّشاط الكهربائي المعقّد في شبكة كبيرة من العصبونات في قشرة الدّماغ؟ ما الذي ينقصنا من المعرفة للقيام بذلك؟

كيف تنعكس العلاقة المتبادلة بين مكوّنات الشّبكة المختلفة «مثل: أنواع الخلايا المختلفة، بناء التّرابطات في الشّبكة ، نوع التّرابطات- استثاريّة أم تثبيطيّة» وبين النّشاط الكهربائي الكلّي للشّبكة ؟

هل نستطيع أن نعزو الفروق التي نشاهدها بين نشاط دماغي طبيعي ونشاط في دماغ مريض لعوامل سببيّة محدّدة، مثل: روابط غير مناسبة في الشّبكة العصبيّة، أو فائض حسّاسيّة كهربائيّة لدى خلايا من نوع معيّن؟

وسائل البحث

أصبح بناء محاكاة مُحوسبة مفصّلة لميليمتر مكعّب من قشرة الدّماغ لدى الثّدييّات أمراً ممكناً بفضل الحاسوب الخارق من نوع IBM BlueGene/L الذي يحتوي على ما يزيد عن 8000 معالج «processor» تعمل بالتّوازي. تُتيح لنا القدرة الحسابيّة الخارقة الكامنة في هذا الحاسوب القيام بحسابات قد تستغرق عدّة سنوات في الحواسيب العاديّة خلال يوم واحد. في حاسوب «الدّماغ الأزرق» كلّ معالج يمثّل، بشكل رياضيّ، النّشاط الكهربائي لعصبون واحد. يُمكّننا هذا من محاكاة شبكة عصبونات تحتوي على حوالي عشرة آلاف عصبون في آن واحد، حيث ترتبط هذه العصبونات بعضها ببعض بعشرة مليارات رابط.

قد يكون التّحدي الحسابيّ المباشر هو محاكاة الشّبكة المعقّدة- نوع من «رحلة إلى العمود القشري»- لكنّ خلق النّموذج بحد ذاته وتعييره وفقاً للنّتائج التّجريبيّة يشكّلان تحدّياً بحدّ ذاتهما. لهذا الغرض، تمّ تطوير إطار لبرنامج مدمج، يتيح لنا تعيير النّماذج وفق النّتائج التّجريبيّة بشكل تلقائي. من ثمّ، في الإمكان إجراء التّجارب المُحوسبة ومقارنتها مع التّجارب الأصليّة. وهكذا، من خلال المقارنة بين أداء النّموذج المُحوسب وبين السّلوك الكهربائي للعمود القشري الحقيقي في الحيوان، يستطيع العلماء أن يفهموا بشكل أفضل كيف يُنفّذ العمود وظائفه- كيف يحسب، ويتعلّم، ويُمثّل العالم من حولنا.

النّموذج

يتم بناء النّماذج بموجب المعطيات التي تمّ جمعها على مدار ما يزيد عن عقد من الزّمن في المختبرات، هذه المعطيات هي، بمعظمها، تسجيلات للنشاطات الكهربائيّة لخلايا منفردة في القشرة الحسّيّة الجسديّة «somatosensory» في دماغ جرذ، وعمليّات إعادة بناء الخلايا وروابطها بشكل ثلاثي الأبعاد. يسمح لنا هذا الجهاز ببناء نموذج لعمود قشري واحد أو أكثر، ومحاكاة نشاطاتها بمختلف الظروف، وبيان النتائج بوسائل بصريّة ثلاثيّة الأبعاد. يُمكننا وصف النّشاطات على عدّة أصعدة- من سلوك القنوات الأيونيّة المنفردة التي نجدها في غلاف الخليّة، وإلى صعيد الخليّة المنفردة وحتّى صعيد الشّبكة ككل.

أهمّيّة الأبحاث

تأتي بالطبع من إمكانيات استخدام نموذج الدماغ في الذكاء الاصطناعي وتطوير كل علوم الحاسوب بكافة أشكالها، بالإضافة إلى إمكانية التحكم بالبشر من أجل كبح أعراض الأزمة الرأسمالية على البشر بدلاً من حل المشكلة الأساسية.

حرامية النهار مو بس عم ينهبونا صارو عم يقتلونا

كلنا منعرف أنو الغش ضارب أطنابو بالبلد.. ومو بس على عينك يا مواطن.. وعلى حساب صحتك وجيبتك كمان.. والأنكى ع عيون التموين والصحة والمحافظة وكل الجهات اللي بتعتبر حالها معنية ومسؤولة عنكم يا مواطنيييين..

■ نوار الدمشقي

يعني القصة مو بس رفع أسعار واستغلال واحتكار.. وفوقها غش كمان.. وكبير كتير أحياناً.. لك التجار وحرامية البلد كل همهم ينهبونا وبأي شكل كان ومو فارقة مع صرمايتهم متنا ولا عشنا.. لك في أوقح من هيك..

لك العمى اللي ضربهم كل شي صار ينغش.. من المنظفات للملابس والأحذية للأكل واللقمة اللي عم نتزهرمها للكهربائيات وأنتو ماشيين.. لك حتى الأدوية صار في منها مغشوش كمان.. في جريمة أكتر من هيك..

والناس يا حسرتها ع حالها بدها توفر ع حالها ليرة من الهوا لأن يا دوب اللي عم تقبضوا بأول الشهر يكفيها أسبوع زمان.. مشان هيك دائماً بتنكش ع الأرخص.. واللي بيطلع مو بس سيئ المواصفة لك بلا مواصفة منووووب..

بتشتري الجبنة ووقت بتغليها بتروح نيفا وبتصير مي.. اللبن إذا بات يوم بتصير طعمتو وريحتو بتنزع المراء.. لك الحليب بتضل تغليه بركي يطلع ع وشو شوية قشطة بس عبث.. مستحيل كلو مي.. وبتشتري مسحوق للغسالة بيطلع بلا رغوة.. لك وبلا ريحة كمان.. والأسوأ أنو الغسيل بيطلع محور وماحح ومو نظفان.. وطبعاً ما ح نحكي ع اللحمة والجاج والغش فيهم وخاصة اللحم المفروم اللي ما بتعرف شو حاطين فيه.. أما الأحذية فعينك ما تشوف.. لك في منها عيارو لبستين وبيكون عم يودع..

هلأ كل هاد ممكن الحربوق يكشفو خاصة بعد الخبرات اللي تراكمت عند الناس من كتر الغش بالبلد.. يعني البضايع الفرط بتكون مبينة شوي والخبرة فيها بتكشف الغش أحياناً.. بس المصيبة بالبضايع اللي بتكون معبأة ومغلفة أو معلبة.. فكيف ممكن تنكشف.. لأن الشي الوحيد اللي الواحد منا بيعملو أنو يدقق ع تاريخ الصلاحية.. واللي صار بسلامتك هو التاني لأن اللعب بالتواريخ وتزويرها ع أبو موزة كمان..

بس اللي بيطلع العين أكتر من كل هاد أنو اللي عاملين حالهم مسؤولين عنا وعن صحتنا وسلامتنا وبيعملوا جولات وحملات استعراضية ع الأسواق والمحلات والمعامل والمستودعات.. وبيتفصحوا بالضبوط اللي عم ينظموها بالمخالفات.. بتخلص شغلتهم هون وبس..

طيب حبيباتي اللي ضبطتو بضاعة مغشوشة بشي محل ليش ما بتلموها من كل الأسواق مثلاً.. ولا مصلحة صاحب البضاعة أهم من مصلحة الناس اللي ح تضل تشتري منها.. لك أضعف الإيمان عملوا نشرة إعلانات لتنبيه الناس من البضاعة المغشوشة اللي ضبطوها مشان الناس ما تتبضع منها.. يعني والله هيك نشرة أهم من نشرات الأسعار الخلبية تبعكم بالنسبة للناس..

لك والأسوأ من هيك مثلاً أنو بيطلع خبر رسمي عن ضبط معمل مرتديلا عم يطحن فيه لحوم فاسدة ويعلبها ويوزعها بالأسواق ليبيعها للناس.. وأكتر شي ممكن يعملوا اللي ضبطوا العملية أنو يتلفوا اللحمة الفاسدة ويشمعو المعمل.. واللي طبعاً بيرجع يفتح بعد فترة.. وع نفس المنوال من الغش ولا كأن شي صار..

طيب مو لازم بهيك حالة تنبهو الناس أنو يا عالم في مرتديلا معلبة ماركتها كذا موجودة بالسوق، وفيها لحوم فاسدة ديروا بالكم ع صحتكم وصحة ولادكم ولا تشتروا منها.. ولا صعبة كتير.. لأن مصلحة وسمعة صاحب المعمل الحرامي واللص والغشاش أهم بكتير من صحة الناس اللي ممكن تروح فيها تسمم بهيك حالة..

لك وشو بدنا نعدد عن أمثلة كتيرة من الغش اللي غايتو طبعاً السرقة والنهب ع حساب الناس وصحتها.. وشو بدنا نحكي ونعد عن التجار الكبار «حرامية النهار» اللي مو هاممهم إلا شو بيفوت ع جيبتهم كل مسا.. وجعل عمرو المواطن عاش ولا مات.. وفوقها في مين بيغطي عليهم مشان ما ينفضحوا..

ووقت منحكي أنو هدول اللصوص الكبار محميين.. والغش اللي بيطلع العين محمي.. والفساد الكبير محمي.. بيجي مين يقول: أنو حكينا مو صح ولازم نبلعها ونسكت..

لك هدول مو بس عم يستغلونا وينهبونا.. لك صاروا عم يموتونا عينك عينك كمان وبدهم يانا نسكت..

العمى ولووووو.. والله تخينة كتير هيك..

وعود مازوت التدفئة.. والسراج والفتيلة

بعد أن وصل لأسماع المواطنين تصريح يقول: إن مازوت التدفئة سوف يبدأ توزيعه خلال شهر آب، صدر تصريح جديد يقول: إن البدء بالتسجيل للحصول على مادة المازوت للتدفئة يبدأ أول أيلول.

■ سوسن عجيب

بالنسبة للمواطنين، إن تأمين مازوت التدفئة بات مقترناً بحسبة شهرية وسنوية قائمة على أساس المزيد من التقشف والتدبر من أجل توفير المبلغ اللازم لتسديد قيمة هذه المادة، وبالتالي، فإن المواعيد والترتيبات المرتبطة بها تعتبر ذات أهمية على هذا المستوى، بغض النظر طبعاً عن تقييمهم للتصريحات الرسمية ومدى جديتها، خاصة عندما تنتقل هذه التصريحات من خانة الوعود إلى حيز التنفيذ.

تأجيل برغم توفر المادة

قبل أسبوع من نهاية شهر تموز تقريباً، نقل عن «مصدر مسؤول» عبر إحدى الصحف المحلية، بأن: «توزيع مازوت التدفئة على المواطنين سوف يبدأ خلال شهر آب القادم، لافتاً إلى أن مازوت التدفئة متوافر، والمخازين جيدة ويتم توزيع المادة على كل محافظة حسب احتياجاتها».

مطلع شهر آب نقل عن مدير عام الشركة السورية لتخزين وتوزيع المواد البترولية «محروقات»، عبر إحدى الصحف المحلية، أن: «البدء بالتسجيل للعائلات للحصول على مادة مازوت التدفئة يبدأ في الأول من شهر أيلول القادم في كافة المحافظات السورية، والتسجيل للجرحى وذوي الشهداء يبدأ بتاريخ 15 آب الجاري».. ولفت إلى أنّ: «تزويد العائلات بالمازوت يتم خلال يوم واحد بعد التسجيل على المادة، مبيناً أن المادة متوفرة، وهناك أسطول سيارات توزيع كبير لتأمين العائلات بمازوت التدفئة».

الفارق بين التصريحين والموعدين أعلاه شهر تقريباً، لكن ما يلفت النظر هو عدم التقيد بالموعد الأول للتوزيع خلال شهر آب الحالي باعتبار أن «مازوت التدفئة متوافر والمخازين جيدة» بحسب التصريح الأول، والمؤكد عليه بحسب التصريح الثاني، أي: أن الأعذار المعتادة بشأن توفر المادة منفية بشكل رسمي، فلماذا إذاً التأجيل؟

والتساؤل المشروع بناء عليه: هل سيصدر تصريح جديد مطلع الشهر القادم يؤجل عمليات توزيع مازوت التدفئة لموعد آخر؟.

المواعيد وصراع الضرورات

العام والشائع، أن المواطنين ما عادوا يُعيرون اهتمامهم للتصريحات، خاصة وأن غالبيتها تعتبر تجميلية، وبعيدة كل البعد عن معاناتهم من واقعهم المعاش وضروراتهم الحياتية والخدمية، ولعل ما يخص موضوع مازوت التدفئة له شأن آخر كاستثناء بهذا السياق، وذلك لما يترتب عليه من خطط مالية تقشفية ترتبط من الناحية العملية بالموعد المرتقب للاستلام وتسديد القيمة.

على ذلك يبدو الموضوع بالنسبة لغالبية المواطنين من المفقرين ومحدودي الأجر مهماً جداً، خاصة، وأن الأموال التي تم تأمينها «بالسراج والفتيلة» من أجل تسديد قيمة الدفعة الأولى من مازوت التدفئة بحسب الموعد الأول المقطوع، ربما ستذهب اضطراراً ليتم إنفاقها لسد حاجة ضرورية أخرى خلال هذا الشهر طالما لن يتم التوزيع، ما يعني عدم التمكن من استلام كمية المازوت المخصصة للتدفئة بحسب الموعد في الشهر القادم إن ثبتت، أي: أن هؤلاء «المعترين» سيأتي عليهم الشتاء وسيفرض البرد وجوده وإيقاعه على حياتهم رغماً عنهم دون محروقات التدفئة، إلا من رحم ربي ممن قد يتمكن مكابدة من استمرار الحفاظ على هذه النقود برغم الحاجة والضرورات التي تفرض نفسها.

والحال كذلك، فإن غالبية المفقرين سيستمرون في صراعهم مع ضروراتهم، وربما لا جديد في ذلك!.

تصعيد غربي ضد روسيا والصين

من الحرب التجارية إلى الحرب الإعلامية والتوتير على الحدود البحرية والبرية لروسيا والصين، بل وداخل المجتمع الصيني نفسه. يدفع الغرب عدة ملفات نحو التصعيد.

■ قاسيون

الحرب التجارية ضد الصين

تعهدت بكين يوم الجمعة بالرد في حال أصرت الولايات المتحدة على فرض رسوم إضافية على باقي واردات السوق الأمريكية من السلع الصينية، وذلك في أعقاب التصعيد المفاجئ من قبل الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في الحرب التجارية ضد الصين.

وأعلن ترامب: إنه سيفرض رسوماً جمركية بنسبة 10 في المئة على واردات أمريكية من الصين بقيمة 300 مليار مطلع أيلول، في خطوة من شأنها الإضرار بالمستهلك الأمريكي مباشرة أكثر من أي طرف آخر في إطار الحرب التجارية بين واشنطن وبكين، بحسب ما أوردته وكالة أنباء بلومبيرغ

وأعلن ترامب في وقت لاحق، أنه قد يزيد الرسوم إلى أكثر من 25% على قائمة طويلة من واردات بلاده من الصين، تشمل الهواتف الذكية والكمبيوتر المحمول وملابس الأطفال.

وقالت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية، هوا شونينج في إيجاز صحفي في بكين في وقت مبكر اليوم: إذا ما كانت الولايات المتحدة ستمضي قُدماً في تطبيق الرسوم الإضافية، سيتعين على الصين اتخاذ الإجراءات المضادة الضرورية. غير أنها لم تحدد طبيعة هذه الإجراءات.

وأضافت هوا: لن تقبل الصين أي حد أقصى من الضغط أو التهديد أو الابتزاز، ولن تتنازل على الإطلاق فيما يتعلق بالقضايا الرئيسة. ووفقاً لـ بلومبيرغ، فإن التهديد من قبل الرئيس الأمريكي بفرض رسوم جمركية على جميع الواردات من الصين أكبر خطوة تصعيدية حتى الآن من قبل الإدارة الأمريكية في الحرب التجارية، ويضع نهاية مفاجئة لهدنة توصل إليها الرئيس الأمريكي ونظيره الصيني شي جين بينغ خلال قمة مجموعة العشرين، التي عقدت في مدينة أوساكا اليابانية نهاية حزيران الماضي.

وجاء أول رد فعلي رسمي من بكين على التصعيد الأمريكي في وقت سابق اليوم على لسان وزير الخارجية وانج يي الذي قال لمحطة تليفزيون محلية صينية على هامش اجتماعات وزراء خارجية رابطة دول جنوب شرق آسيا «آسيان» في بانكوك: فرض رسوم جديدة ليس على الإطلاق الحل الأمثل لحل الخلافات التجارية.

الرّد الزراعي الصيني

منحت الصين يوم الجمعة الماضي الترخيص لاستيراد عدد من المنتجات الزراعية من روسيا، بعدما أوقفت استيراد نظيراتها من الولايات المتحدة، التي تخوض معها حرباً تجارية. ونقلت وكالة رويترز عن مكتب الجمارك الصيني، أن بكين وافقت على استيراد القمح من منطقة كورغان الروسية، ما سيدعم خطة موسكو في زيادة صادرات القمح هذا العام الزراعي. كذلك صادقت السلطات الصينية على استيراد فول الصويا من جميع أنحاء روسيا، وذلك بعدما أوقفت بكين وارداته من الولايات المتحدة مع احتدام النزاع التجاري مع واشنطن.

وكانت الصين تعد أكبر مُشترٍ لفول الصويا الأمريكي قبل أن تزيد الرسوم الجمركية العام الماضي إلى 25% على واردات الفول من الولايات المتحدة، رداً على قيام الأخيرة بزيادة الرسوم الجمركية على مجموعة من المنتجات الصينية.

تخوض الصين والولايات المتحدة حرباً تجارية بعدما زادت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرسوم الجمركية لترد الصين بإجراءات مماثلة

وتخطط روسيا، التي تعد أكبر مصدر للقمح في العالم، لاستثمار مليارات الدولارات في البنية التحتية للحبوب والقطاع اللوجستي بهدف زيادة صادرات القمح إلى 55,9 مليون طن سنوياً على الأقل بحلول عام 2035. ويتوقع أن تصدر روسيا هذا العام نحو 41,9 مليون طن من الحبوب، بما في ذلك 31,4 طن من القمح، وفقاً لشركة زراعية رائدة في روسيا.

وتلعب إمدادات الحبوب دوراً رئيساً في خطة الحكومة الروسية، التي أعلن عنها قبل عام، لزيادة صادرات البلاد من المنتجات الزراعية إلى ما قيمته 45 مليار دولار بحلول عام 2024.

وتخوض الصين والولايات المتحدة حرباً تجارية، بعدما زادت إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرسوم الجمركية على بضائع صينية بقيمة 250 مليار دولار، لترد الصين بإجراءات مماثلة على منتجات أمريكية بـ 50 مليار دولار.

توتر حول الصين

حدث توتر مدفوع غربياً على الحدود البرية والبحرية للصين، وبحسب صحيفة نيوزيلاند هيرالد، اتهمت بكين الولايات المتحدة بالتحريض على الاحتجاجات غير المبررة والمتزايدة في هونغ كونغ، والتي بدأت قبل شهرين بشأن مشروع قانون لتسليم المجرمين، ومنذ ذلك الحين، تطورت المظاهرات إلى حركة ضد السلطات الصينية في المنطقة المتمتعة بالحكم الذاتي نسبياً.

تصعيد إعلامي ضد روسيا

كشف رئيس إدارة العمليات العامة التابعة لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية، الفريق أول، سيرغي رودسكوي، أن الخوذ البيضاء تحاول من خلال عمليات التضليل الإعلامية اتهام روسيا باستهداف المدنيين في إدلب.

وأضاف رودسكوي قائلاً: «الخوذ البيضاء» تقوم بتصوير لقطات فيديو مفبركة لنشر الأضاليل وتشويه سمعة روسيا أمام الرأي العام الدولي.

وأشار رودسكوي، أن صور وسائل الفضاء الروسية والطائرات المسيرة الروسية أكدت عدم المساس بسوق معرة النعمان الذي زعمت منظمة «الخوذ البيضاء» تدميره خلال قصف جوي روسي.

وبهذا الصدد قال رودسكوي: قامت الطائرات المسيرة الروسية يومي 24 و26 تموز/يوليو بالتحقق مرتين من التقارير التي أفادت بتدمير سوق في معرة النعمان، وتصوير السوق والأماكن المحيطة به. أي: بعد مزاعم توجيه ضربة جوية.

وختم رودسكوي قائلاً: إن الإرهابيين مستمرون في محاولة تنظيم الهجمات على قاعدة حميميم الجوية في سورية من خلال استخدام أنظمة راجمات الصواريخ والطائرات بدون طيار في عمليات القصف.

ونشطت حملة إعلامية ضد روسيا بالتوازي مع جولة أستانا الأخيرة، وشملت الحملة عمليات الخوذ البيضاء السينمائية المعتادة وفضائيات خليجية وغربية وجماعات حقوق الإنسان في لندن.

«حيتس3»

بين المنظومة الدفاعية المتطورة والقنبلة الإعلامية؟

أعلنت وزارة الدفاع في دولة الكيان منذ أيام، عن تجارب ناجحة للمنظومة المضادة للصواريخ البالستية «حيتس 3 أو سهم 3» بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك بعد عدة أيام من إعلان إيران عن تجارب للصاروخ البالستي شهاب 3.

■ قاسيون

دفاعات متعددة الطبقات!

يأتي عمل هذه المنظومة من الدفاعات الجوية، ضمن برنامج الدفاع متعدد الطبقات الذي تديره وزارة الأمن «الإسرائيلية»، حيث يتكون من أربع طبقات من أنظمة الدفاع التي تصنّف بحسب المدى المجدي لكل منظومة، من مضادات قصيرة المدى إلى المتوسطة فبعيدة المدى، مثل: سهم 3 «الذي يفترض إسقاط الصواريخ البالستية خارج الغلاف الجوي»، ويدّعي القائمون على هذه المنظومة الدفاعية نظرياً، بأن الصاروخ الموجه إلى «إسرائيل» في حال تجاوز الطبقة الأولى فلابدّ من إسقاطه في الطبقات الأدنى.

الآن يمكنكم النوم بشكل أفضل:

تزامن هذا الإعلان، مع نشر فيديو للتجارب المنفذة على هذه المنظومة في ألاسكا، تلاه تصريحات «الرئيس الوزراء» نتنياهو، والملفت في الفيديو «الهوليوودي» هو رصد رد الفعل لكادر من التقنيين «وربما الممثلين»، حيث تظهر حالة التأهب والقلق على وجوههم، لتتحول «لحظة اصطدام الصاروخ بالهدف» إلى حالة من البهجة والفرح العارم والانتصار في مشهد سينمائي من نوعه، وجاءت تصريحات نتنياهو لترسخ من «حالة الانتصار»، مستخدماً تعبيرات على شاكلة «هذه الاختبارات نجحت بشكل يتخطى أي خيال» أو أن التنفيذ «كان مثالياً، وكل إصابة كانت في الصميم»، وتوعد نتنياهو من وصفهم بـ ««الأعداء» بهزائم في الدفاع وفي الهجوم على حد سواء»، بينما ذهب بواز ليفي، المسؤول الكبير في صناعات الفضاء «الإسرائيلية»، إلى أبعد من ذلك، مدعياً أن الاختبارات الناجحة ستعني أن «الإسرائيليين» «سيكونون قادرين الآن على النوم بشكل أفضل في الليل».

رسائل خارجية موجهة للداخل؟

يخلص معظم المحللون على المحطات، بأن هذه الاختبارات ما هي إلا رسائل ذات طابع تصعيدي ضمنياً «وخاصة بعد تصريحات نتنياهو» موجهة إلى إيران بشكل أساس، بعدما قامت هذه الأخيرة وبعناد بالتصدي للولايات المتحدة الأمريكية والأوروبيين وإحراجهم على كافة الصعد المرتبطة بموضوع الاتفاق النووي الإيراني وتداعياته المختلفة، والجدير بالذكر هنا: أن هذه المنظومة موجودة لدى جيش الاحتلال منذ ما يقارب العامين ونصف، وما الإعلان عن نجاح الاختبارات الأخيرة، إلا محاولة للتذكير بالتفوق العسكري «الإسرائيلي»، المدعوم من قبل الغول الأمريكي المأزوم والمتخبّط، في محاولة لاستعادة ماء الوجه وتهدئة النفوس المرتعشة خوفاً من ارتفاع درجة حرارة الخليج.

الحرب وتكاليف الحرب

يؤكد المحللون العسكريون بعدم وجود شيء اسمه «نظام دفاع صاروخي محكم»، وخاصة في حال وجود كثافة نيران عالية، حيث وضعت إيران في الخدمة حوالي 600 صاروخ من طراز «شهاب» فقط، ومن تعديلات مختلفة في مخابئ وعلى منصات إطلاق متنقلة، مما يجعل إمكانية التصدي الكاملة للكثافة الصاروخية ومن محاور متعددة إمكانية شبه معدومة، أضف إلى ذلك المنطق الأمريكي باهظ التكاليف في التصنيع العسكري، «يحتاج صاروخ واحد من نوع سكود مثلاً وهو صاروخ رخيص نسبياً، إلى صاروخين من نوع سهم3 لاحتمال إسقاطه، حيث يقدّر سعر الصاروخ الواحد من سهم3 بثلاثة ملايين دولار»، وهو ما يكبح رغبات وهواجس ذلك الجانب من الطُغم الأمريكية لفتح حرب مباشرة، وهي المأزومة اقتصادياً والمديونة مالياً، وخاصة معركة من هذا النوع، وإن بدأت بها الولايات المتحدة لن تستطيع التحكم بها وإيقافها، وستأخذ المنطقة وربّما العالم كله إلى نتائج لا يمكن التنبؤ بها.

الصورة عالمياً

• بعد خروج واشنطن من معاهدة الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى، أكد نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي ريابكوف: إن روسيا لن تخسر أبداً في سباق تسلح جديد بات يلوح في الأفق.

• أعلن الحرس الثوري الإيراني يوم الأحد عن احتجازه سفينة أجنبية كانت تهرّب 800 ألف لتر من البنزين قرب جزيرة فارسي في مياه الخليج بالتنسيق مع السلطات القضائية في ميناء بوشهر.

• أطلقت الشرطة الفرنسية يوم السبت الغاز المسيل للدموع، واستخدمت خراطيم المياه لتفريق المحتجين في مدينة نانت، واعتقلت نحو 40 شخصاً، حيث دعت «حركة السترات الصفراء» للانضمام للاحتجاج.

• بعد الإتفاق عليه في يوم السبت، وقعت الأطراف السودانية يوم الأحد في العاصمة الخرطوم بالأحرف الأولى على الإعلان الدستوري، ومن المزمع التوقيع بشكل نهائي على الإعلان في 17 آب.

• أعربت فنلندا عن أسفها على دخول سفينتها الحربية Hameenmaa المياه الإقليمية الروسية «عن طريق الخطأ»، وتوغلها فيها لمسافة 600 متر، مؤكدة أن «الخطأ لم يكن استفزازاً ولم يحمل أية نية خبيثة».

• رفضت الحكومة الهندية اقتراح الرئيس الأمريكي للتوسط بينها وباكستان بغية تسوية النزاع القديم بينهما بشأن إقليم كشمير المتنازع عليه، خلال لقاء وزراء خارجية البلدين، الأمر الذي لم تذكره الخارجية الأمريكية في بيانها.

تفكيك منظومة الدولار

ماذا لو بقي الدولار محصوراً في الولايات المتحدة وتوقف الجميع عن استخدامه؟ ماذا لو استخدم كلّ بلد أو مجتمع عملته الخاصة في التجارة الداخلية والخارجية المعتمدة على اقتصادهم الخاص بحيث لا تكون بدون تغطية. قد تكون هذه العملة تقليدية أو رقمية مسيطراً عليها من الحكومات، المهم: أن تكون عملة البلد السيادية. لا مزيد من الدولار الأمريكي، ولا مزيد من ابنه اليتيم اليورو. لا مزيد من التحويلات النقدية الدولية التي تتحكم فيها مصارف الولايات المتحدة عبر نظام التحكم الدولي بالتحويل «سويفت»، وهو النظام الذي يسمح ويسهل العقوبات المالية والاقتصادية التي تفرضها الولايات المتحدة من كل نوع– مصادرة أو تمويل أجنبي أو إيقاف التجارة بين الدول أو ابتزاز الدول غير المطيعة وإخضاعها. ما الذي سيحدث لو حصل هذا؟ حسناً، الجواب المختصر هو: أننا سنكون بكل تأكيد على بعد خطوة من عالم أكثر سلاماً بعيداً عن الهيمنة المالية للولايات المتحدة، وسنتجه إلى بنية جيوسياسية عالمية أكثر مساواة.

■ بيتر كوينغ
تعريب: عروة درويش

لم نصل إلى هذه المرحلة بعد، لكنّ جميع الدلائل من حولنا تشير إلى أننا نتجه إلى هناك بسرعة كبرى. يعلم ترامب ومن يحركون خيوطه هذا الأمر، ولهذا نراهم يهاجمون بالتجريم المالي وبالعقوبات وبالحروب التجارية وبالأصول الأجنبية وبمصادرة الاحتياطيات وبأفعال السرقة، وكلّ ذلك تحت اسم «لنجعل أمريكا عظيمة من جديد». لكنّ المذهل هو أنّ المهيمنين لا يفهمون بأنّ كلّ هذا التهديد والعقوبات والعوائق التجارية توصل إلى عكس ما يمكن أن يجعل من أمريكا عظيمة من جديد. فالعقوبات الاقتصادية الأمريكية فاعلة فقط حتّى يتوقف العالم عن استخدام الدولار كعملة احتياطية وفي التجارة.

ما إن تضجر بقيّة العالم مع إملاءات واشنطن البشعة وعقوباتها على الذين لا يقبلون بالقواعد القمعية التي تمليها، سيكونون راغبين بالقفز إلى المركب الآخر، أو مجموعة المراكب الأخرى– عبر هَجر الدولار وتقييم عملاتهم المحلية.

الدولار والدَّين

اليوم، الدولار يعتمد على لا شيء وقيمته أقلّ من الورق المطبوع عليه. الأكثر من ذلك أنّ الناتج الإجمالي المحلي للولايات المتحدة هو 21,1 ترليون دولار في 2019 وفقاً لتقديرات البنك الدولي، مع دَين حالي 22 ترليون دولار أي 105% من الناتج المحلي الإجمالي. يتوقع أن يكون الناتج الإجمالي العالمي في 2019 حوالي 88,1 ترليون دولار. وفقاً لفوربس، فإنّ 210 ترليون دولار هي «ديون عائمة unfunded liability» على الولايات المتحدة «يمثّل الصافي القيمة المتوقعة مستقبلاً دون الالتزامات العائمة، وهي بشكل رئيس الضمان الاجتماعي والرعاية الطبية والفوائد المتراكمة على الدَّين». إنّ هذا الرقم هو عشرة أضعاف الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة، أو ضعفان ونصف المخرجات الاقتصادية العالمية.

يستمر هذا الرقم بالتنامي، بينما تتضاعف فوائد الديون، لتشكل جزءاً ممّا قد نسميه في مصطلحات الأعمال: «خدمة الدَّين» «إطفاء الديون والفوائد»، لكن دون أن يتم دفع هذه الديون أبداً. علاوة على ذلك، هناك حوالي واحد إلى اثنين كوادرليون دولار «لا أحد يعرف القيمة الحقيقية» ممّا يدعى «المشتقات» التي تطوف حول العالم. والمشتقات هي أداة مالية تخلق قيمتها من فرق المضاربة على الأصول الأساسية، والمشتقة بشكل رئيس من التبادلات البنكية وتبادلات الأسهم الشاذة.

هذا الدَّين مشوّه الشكل تملكه بشكل جزئي البلدان حول العالم على شكل سندات خزينة كاحتياطيات نقد، والكتلة الأكبر منه تدين به الولايات المتحدة نفسها دون أيّة خطط لردّه. بل تقوم عوضاً عن ذلك بخلق المزيد من المال ومن ثمّ المزيد من الدَّين، والتي تدفع من خلاله مقابل الحروب التي لا تتوقف وتصنيع الأسلحة وأجندات الكذب، وكلّ ذلك لإبقاء الجماهير صامتة ومطيعة.

يرقى هذا إلى مستوى وصفه كهرم عالمي مُهيمن يعتمد على الدولار. تخيلوا أن ينهار هذا الدَّين، لنقل بسبب تأرجح عدّة مصارف كبرى من وول ستريت على حافة الإفلاس، بسبب المطالبة بمشتقاتهم، وبالذهب الورقي «وهو أمر غامض آخر» وبالديون الأخرى من البنوك الأصغر. سيخلق هذا رد فعل تسلسلي قد ينهار على إثره الاقتصاد العالمي المعتمد على الدولار. سيخلق هذا أزمة «ليمان بروذرز 2008» على مستوى عالمي.

العالم لن يستمر على هذا النحو

العالم يدرك بشكل متزايد التهديد الواقعي وراء هذا الاقتصاد المبني على بيت من ورق، ولهذا تريد الدول الخروج من الفخ قبل أن تمزقها أنياب الدولار الأمريكي. ليس الأمر سهلاً مع كلّ احتياطيات الدولار المهيمنة والأصول المستثمرة على طول الكوكب. قد يكون الحل في تجريدهم بشكل تدريجي والانتقال إلى عملات لا تعتمد في تقويمها على الدولار، مثل: اليوان الصيني أو الروبل الروسي أو سلّة من العملات غير المتصلة بالدولار وببرنامج مدفوعاته العالمي– نظام سويفت. ويجب الحذر من اليورو، الولد اليتيم للدولار الأمريكي.

هناك سلسلة بدائل تكنولوجيّة متزايدة متاحة. الصين وروسيا وإيران وفنزويلا تقوم بالفعل باختبار العمل بعملات إلكترونية متحكم فيها حكومياً، من أجل بناء أنظمة دفع وتحويل جديدة خارج مجال الدولار بهدف تجنّب العقوبات. قد تنضم الهند وقد لا تفعل– حيث يعتمد ذلك على الاتجاه الذي ستسلكه حكومة مودي، ناحية الشرق أم الغرب. لكنّ المنطق يشير إلى أنّ الهند تقوم بتوجيه نفسها ناحية الشرق تبعاً لكونها تشكّل جزءاً من السوق والأرض الأوراسية الكبرى.

الهند هي بالفعل عضو ناشط في منظمة شنغهاي للتعاون، وهي المنظمة التي تجمع البلدان التي تطوّر إستراتيجيات تجارة سلميّة وأمناً نقدياً ودفاعياً، وتشمل الصين وروسيا والهند وباكستان ومعظم دول وسط آسيا، إضافة إلى إيران التي تنتظر أن تصبح فرداً كامل العضوية. وعليه فإنّ منظمة شنغهاي للتعاون فيها ما يقرب من نصف سكان العالم، وثلث مخرجات العالم الاقتصادية. ليس الشرق بحاجة للغرب كي ينجو. لا عجب عند معرفة ذلك أن نرى بأنّ الإعلام الغربي نادراً ما يذكر منظمة شنغهاي للتعاون، وهو ما يعني بأنّ الإنسان الغربي العادي ليس لديه فكرة عن منظمة شنغهاي للتعاون ولا مَنْ تضم.

قد تصبح التقنيات المسيطر عليها والمشرعة حكومياً حجراً رئيساً في مقارعة قوّة الولايات المتحدة المالية القسرية، ولمقاومة العقوبات. يتم إجراء مثل هذه الترتيبات البضاعية على النفط الإيراني، والتي تتم عبر «بنوك مقايضة»، حيث يتم تولي أمر العملات–

العالم يدرك بشكل متزايد التهديد الواقعي وراء هذا الاقتصاد المبني على بيت من ورق ولهذا تريد الدول الخروج من الفخ قبل أن تمزقها أنياب الدولار الأمريكي

اتجاه عالمي لا رجعة فيه

الريال الإيراني والروبية الهندية كمثال– من قبل ذات البنك. يستند تبادل البضائع على قائمة من البضائع الهندية ذات الحجم النقدي المرتفع والمعدّة للتجارة، ليتم مبادلتها بمنتجات النفط الإيراني. مثال: تستورد إيران كمية كبيرة من الشاي الهندي. لا يتم إجراء أية عملية تحويل نقدي خارج الهند، وعليه فإنّه يمكن تحييد العقوبات الأمريكية طالما لا قدرة لوزارة الخزانة الأمريكية أو المصارف الأمريكية على التدخل في أنشطة التبادلات التجارية الثنائية.

ويبدو الوقت ملائماً للتحذير من بعض المحاولات لاستبدال الدولار بأدوات شبيهة لا تعطي أكل عملية تفكيك منظومة الدولار الجوهرية. فقد أعلنت على سبيل المثال فيس بوك عن أنّها ستطلق عملتها الافتراضية الخاصة وسمتها ليبرا. لا أحد يعلم ما هي وما ستكون وظيفتها، سوى أنّها ستعرض على مليارات الأشخاص حول العالم من المشتركين بفيس بوك. تبعاً لفيسبوك، هناك 2,38 مليار عضو نشط في فيسبوك. لنتخيل أن ثلثيهم، أي 1,6 مليار فتحو حساب ليبرا في فيسبوك. قد يؤدي هذا العمل لاستبدال الدولار، ولكن من ذات الأشخاص الذين يقومون بإفساد العالم بالدولار. إنّ أيّة عملة افتراضية غير متحكم بها حكومياً سوف لن يكون لها أي تأثير إيجابي. فلنحذر من ليبرا ومثيلاتها.

انتفاضة الحلفاء السابقين

بالرغم من العقوبات الأمريكية والأوروبية، كسرت الاستثمارات الألمانية في روسيا الرقم القياسي عام 2019، حيث ضخّ قطاع الأعمال الألماني أكثر من 1,7 مليار يورو في الاقتصاد الروسي في الأشهر الثلاثة الأولى من 2019. تبعاً لغرفة التجارة الروسية–الألمانية، فحجم استثمارات الشركات الألمانية في روسيا قد ارتفع بنسبة 33%– بـ 400 مليون يورو– منذ العام الماضي، حيث وصلت كامل الاستثمارات إلى 3,2 مليار، وهو الرقم الأكبر منذ عام 2008. فعلى الرغم من العقوبات التي تصل مجتمعة إلى مليار يورو على 140 شركة ألمانية تم استطلاعها وتسجيلها في غرفة التجارة، ورغم الضغط الغربي لمعاداة روسيا، فقد ازدادت التجارة الألمانية– الروسية بنسبة 8,4% ووصلت إلى قرابة 62 مليار يورو في عام 2018.

علاوة على ذلك، فرغم الاعتراض المستمر من الولايات المتحدة والتهديد بالعقوبات، تستمر موسكو وبرلين بمشروع أنابيب غاز «السيل الشمالي 2» الذي يتوقع إتمامه قبل نهاية 2019. وليس الأمر مقتصراً على كون الغاز الروسي بسبب قربه من ألمانيا وأوروبا يشكل مصدراً منطقياً وطبيعياً للتوريد، ولكن أيضاً لأنّه سيجنب أوروبا الاعتماد على وسائل بيع المتنمرين الذي تنتهجه الولايات المتحدة. ولن تكون المدفوعات بالدولار الأمريكي. على المدى الطويل ستتخطى منافع العلاقات الاقتصادية الروسية– الألمانية مجرّد التفوق على العقوبات الأمريكية غير الشرعية. فما أن يدرك الجميع قدراتهم، لن يوقف شيء ارتباط الأعمال الروسي– الألماني عن الازدهار وتحقيق ارتباط أقوى اقتصادي روسي–أوروبي– وكلّ ذلك خارج نظام التحويل والصرف البنكي المهيمن عليه من الدولار.

كما أنّ واشنطن قد شنّت حرباً تجارية غير منتجة ضدّ تركيا بسبب تشاركها وإنشائها علاقات ودية مع روسيا وإيران والصين. والأهم وقبل كل شيء لأنّ تركيا، وهي الدعامة القوية للناتو، اشترت منظومة الدفاع الروسية المتفوقة إس–400، وهو حلف عسكري جديد لا يمكن للولايات المتحدة أن تقبله. وكنتيجة لذلك تقوم الولايات المتحدة بتخريب العملة التركية. لقد فقدت الليرة 40% من قيمتها منذ كانون الثاني 2018.

ستقوم تركيا بأيّ شيء ممكن لسحب رقبتها من تحت الحذاء- عقوبات الدولار– وستتحالف بالتالي مع الشرق

ستقوم تركيا بـأيّ شيء ممكن لسحب رقبتها من تحت الحذاء– عقوبات الدولار– وستتحالف بالتالي مع الشرق. يعني هذا خسارة مزدوجة للولايات المتحدة. تركيا ستهجر في الغالب كامل التجارة بالدولار الأمريكي، وستتراصف بعملتها مع عملات كالروبل الروسي واليوان الصيني كمثال. كما أنّ هناك إمكانية أنّها ستضر بالتحالف الأطلسي عبر الانسحاب من الناتو. انسحاب تركيا من الناتو سيشكّل كارثة للولايات المتحدة سواء من الناحية الإستراتيجية أو من ناحية بقاء القدرة العسكرية للناتو من بين الأقوى إن لم تكن الأقوى.

إن انسحبت تركيا من الناتو، فسيهتز كامل تحالف الناتو الأوروبي، وسيكون عرضة للمساءلة. فهناك دول أخرى متحفظة منذ زمن على الناتو وعلى تخزين الأسلحة النووية على ترابها، وخاصة إيطاليا وألمانيا، قد يلحقون الركب وينسحبون من الناتو. ففي إيطاليا وألمانيا كليهما، غالبية الناس هي ضدّ الناتو، وخاصة ضدّ قيام البنتاغون بشنّ الحروب من قواعد الناتو الموجودة في بلادهم وأقاليمها. وقد رأينا كيف تمّ اختيار وزيرة الدفاع الألمانية المؤيدة للناتو بهامش ضئيل من تسعة أصوات، فهذا قد يتغير بلمحة بصر حال قيام الشعب باتخاذ إجراءات تضغط على إداراته للخروج.

في الحقيقة، يدرك الشعب الأوروبي بأنّ النزاعات التي تشعلها واشنطن وتدعمها دول الدُمى الأوروبية الحليفة قد تتسبب باندلاع حرب نووية، وبأنّ القواعد الموجودة على أراضي بلادهم هي أول من ستتعرض للهجوم، ممّا سيدخل أوروبا في حرب عالمية ثالثة مدمرة. لكنّ هذه الحرب قد تكون نووية مدمرة كلّياً، فلا أحد يعلم أو قادر على التنبؤ بالضرر الذي قد تسببه مثل هذه الكارثة، ولا الوقت الذي ستحتاجه الأرض للتعافي من مثل هذه المصيبة النووية.

ولهذا فإنّ انسحاب تركيا من الناتو، والذي سيحدث سواء عاجلاً أم آجلاً، سيكون هو الردّ السلمي والصحي على الابتزاز والتدمير الذي قامت به واشنطن ضدّ الليرة التركية. إنّ العقوبات الأمريكية على العملة التركية سيكون لها تأثير إيجابي طويل التأثير عبر الانتقال إلى المال الشرقي، وتحديداً اليوان الصيني، وهو ما سيدقّ مسماراً آخر في نعش الدولار.

الصين وإمكانات لا يمكن كبحها:

إنّ الحرب التجارية الأمريكية على الصين سوف تترك في ختامها آثار تفكيك منظومة الدولار، حيث ستسعى الصين– وقد بدأت بالفعل بذلك– نحو شركاء تجاريين آخرين في آسيا والباسيفيك وأوروبا، وهم الذين ستتعامل معهم الصين بعقود لا يهيمن عليها الدولار وخارج نظام تحويلات سويفت. مثال: باستخدام نظام المدفوعات الدولية الصينية «CIPS» وهو المفتوح بالفعل أمام التجارة الدولية مع أيّ بلد على طول الكوكب. هذا لن يتفادى الرسوم الجمركية العقابية التي تفرضها الولايات المتحدة على الصادرات الصينية وحسب «وهي التي تجعل المستهلكين الأمريكيين الذين يستهلكون البضائع الصينية غاضبين لأنّ هذه البضائع لم تعد متوفرة بأسعار يمكن تحمل كلفتها، أو غير متاحة على الإطلاق»، بل إنّ هذه الإستراتيجية ستعزز كذلك اليوان الصيني في الأسواق الدولية، وتقوي اليوان أيضاً بوصفه عملة احتياط موثوقة– بحيث قد يحتل مرتبة أعلى من الدولار الأمريكي. في واقع الحال، لقد انخفضت الأصول التي هيمن عليها الدولار الأمريكي في خزائن الاحتياطيات الدولية في العشرين عاماً الماضية من 90% إلى أدنى من 60% في الوقت الحالي، وسيستمر بالانخفاض بشكل متسارع مع ازدياد سياسات واشنطن المالية القهرية. يتم استبدال احتياطي الدولار بشكل سريع باحتياطيات اليوان والذهب، ويحدث ذلك حتى في بلدان تعدّ من أكثر داعمي الغرب المخلصين، مثل: أستراليا.

إنّ الاستثمار الصيني في مبادرة الحزام والطريق، ويسمى أيضاً طريق الحرير الجديد، سيتم بمعظمه باستخدام اليوان والعملات المحلية للبلدان المنضوية والمشتركة في واحد أو أكثر من مسارات الحزام والطريق البحرية أو البرية، التي ستمتد في نهاية المطاف على طول الكوكب. قد تخدم بعض الاستثمارات بالدولار بنك الشعب الصيني وبنك الصين المركزي في كونها أداة لتجريد الدولار بالنسبة للاحتياطيات الصينية الهائلة من الدولار، والتي تصل حالياً إلى ما يقارب ترليوني دولار.

تَعد مبادرة الحزام والطريق بأن تكون هي الثورة الاقتصادية الجديدة، وخطة تنمية اقتصادية غير دولارية على مدى العقود القادمة، ستسمح بالاتصال بين البشر والبلدان– ثقافياً وبحثياً وتعليمياً دون إجبار على الإذعان، بل عبر تعزيز التنوع الثقافي والمساواة البشرية– وهذا جميعه خارج الهيمنة الهرمية للدولار.

صيّاد سمك بوزن القارة السمراء

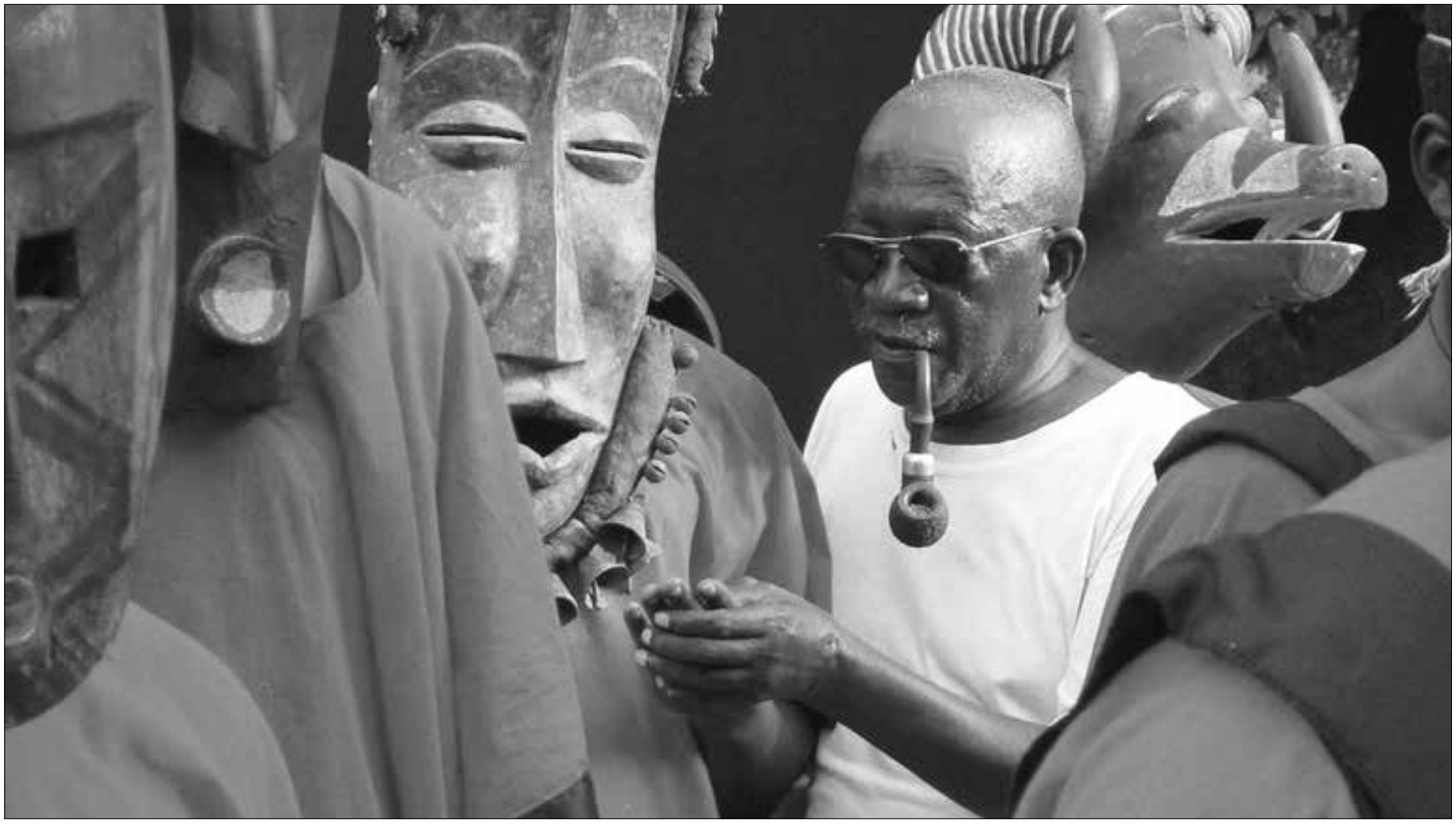

طرد أسمان سمبين «عثمان بالسنغالية» من المدرسة الفرنسية بعد شجار مع أحد مدرسيها، لم يخطر بباله وهو ينشر شباك الصيد مع والده، ويؤدي أعمالاً يدوية شتى لسد الرمق، أنه سيكون ذات يوم كاتباً ومؤسساً للسينما الإفريقية.

■ لؤي محمد

حياة قاسية

ولد عثمان سمبين لأسرة فقيرة في بلدة زيغنشور في إقليم كازامانس جنوبي السنغال، في شهر كانون الثاني 1923. وارتاد الكُتّاب في البداية، ولُقّنَ مبادئ الدِّين الإسلامي واللغة العربية قبل أن ينتقل إلى المدرسة الفرنسية.

وبعد أن طُرد من المدرسة، في العام 1936 تقلب عثمان في عدة مهن، أولها: مهنة أبيه في صيد السمك. وإذا كانت المدة التي قضاها في مزاولة صيد السمك قصيرة نسبياً، فقد أتاحت له فرصة التدرب على إمعان التفكير، وهو ما سينعكس على أسلوبه وعلى نظرته لمحيطه.

إضراب السكك الحديدية

جند صيّاد السمك في صفوف قوات الجيش الفرنسي سنة 1944، وشارك في الحرب العالمية الثانية. وعاد بعد انتهاء الحرب إلى بلده، ليكون من بين الذين خاضوا إضراباً لعمال السكك الحديدية بدكار في العام 1947. ليعود في نفس العام إلى فرنسا ويلتحق بمصنع ستروين للسيارات في باريس، ثم يلتحق بعمال ميناء مرسيليا، وينخرط في نقابة سي جي تي CGT ومن ثم ينضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي. ويعتبر سمبين هذه المرحلة من حياته مرحلة غنية سياسياً وأدبياً.

صرّح لصحيفة الأومانيتيه قائلاً: لقد زودتني إضرابات داكار بموقف واقعي ملموس. لكنني اكتشفت الأدب والمسرح والنوادي السينمائية في الخمسينات في مرسيليا، في أحضان الحزب الشيوعي... بالنسبة إلي، أنا ابن زيغنشور، قرية كازامانس الصغيرة، وكانت مدرسة الحزب مدرسة عظيمة. كانت جامعتي.

الرَاوية الماركسي

لم يقتصر دور الحزب الشيوعي الثقافي، على التوعية السياسية وتوفير فرص القراءة، بل أتاح له فرصة النشر. وبدأت حكاية سمبين مع الكتابة في النصف الثاني من الخمسينات.

ففي عام 1956 نشر أول رواياته، تحت عنوان «عامل الرصيف الأسود»، وهي رواية فيها الكثير من السيرة الذاتية للمؤلف. لكن الرواية التي ستحقق له بعض الشهرة هي رواية: «قطع حَطب الرّب الصغيرة» المنشورة عام 1960.

ومن الأدب أطل سمبين على عالم السينما، فبعد عودته من فرنسا إلى بلده المستقل حديثاً، وبعد أن قام بجولة في عدد من الدول الإفريقية، انتاب هذا النقابي الماركسي شعور بالعبث: لمن يكتب؟ هل لهذه الآلاف المؤلفة من الأميين الذين يجهلون أبسط مبادئ القراءة والكتابة؟ إذاً، هي صرخة في واد.

وجد سمبين طريقة لحل هذا التضارب: السينما. فعبر السينما يمكن أن يصل إلى جماهير أوسع، وعبر السينما يمكن أن يواصل الإبداع الأدبي بطريقة أخرى. وقال سمبين في هذا الصدد، إنه واصل بأساليب حديثة عمل الرواة الأفارقة الذين يُسمون بالغرييو GRIOT.

بلغ تأثير أفلامه على الناس إلى درجة صدر أمر من الرئيس السنغالي نفسه عام 1977 لوضع أفلامه تحت مقص الرقابة

الأفارقة يشاهدون السينما

قرر سمبين التحول إلى السينما ليصل إلى جماهير واسعة، وهم صنف شبيه بشعراء الربابة في مصر وحكواتيي المشرق، وأصحاب الحلقة في بلاد المغرب، يقومون بكل ما تتطلبه الرواية من أداء وسرد، وغناء.

ولهذا الغرض اعتمد سمبين قصصه سيناريوهات لمعظم أفلامه المطولة العشرة، وهي سيناريوهات تعالج مواضيع في صلب هموم المجتمع السنغالي بصورة خاصة، والإفريقي بصفة عامة، لذا اتَّسمت بنوع من المباشرة، ولم يخفف منها سوى الاستخدام الذكي للكاميرا وللتعبير السينمائي. وقد اعترف سمبين بأنه أنتج أفلام «موالد»، جال بها في القرى والبلدات ليقدح شرر الأسئلة في أذهان مواطنيه.

درس سمبين السينما عندما ناهزت سنه الأربعين سنة، وقد ولج هذا العالم أيضاً من باب النضال النقابي، ومن إحدى عواصم الفن السينمائي: موسكو الاتحاد السوفييتي. ولا غرابة، إن تلوّن أسلوبه في أغلب أفلامه سواء منها الروائية أو الوثائقية، بالطابع النضالي اليساري.

بدأ نجمه يصعد في سماء السينما عام 1966 بفيلم «فتاة سوداء من ...»، ويعد النقاد هذا الفيلم أولّ فيلم روائي إفريقي مطول، ومن ثم حجر الأساس للسينما الإفريقية جنوب الصحراء.

يروي الفيلم– خلال 65 د– قصة فتاة سنغالية تنتقل إلى فرنسا مع أسرة فرنسية. وتصاب الفتاة بخيبة أمل جرّاء ما تعيشه من مهانة. ستنتهي بها إلى التفكير في الانتحار. وحاز الفيلم على جائزة «جان فيغو» بعد أن حصل على جائزة تور عن فيلم «رجل العربة».

يتحدث الفيلم عن بؤس ما بعد الاستقلال في السنغال بأسلوب هو أقرب إلى تقنية الفيلم الوثائقي من الفيلم الروائي، عبر حكاية حمّال تقليدي في مواجهة التعقيدات الإدارية والمصاعب المالية والعراقيل المجتمعية. وبقي سمبين وفّياً لهذا النهج سواء في أفلامه الأخرى التي حصلت على جوائز مختلفة، وذلك من خلال سعيه إلى تعرية واقع المجتمعات الإفريقية، وخاض صراعاً ضدّ تعدد الزوجات والبطالة والفساد والفقر وختان النساء والحرب والطائفية والاستعمار.

أنتج أفلامه بالفرنسية أو بلغة الوولوف، اللغة التي يتحدث بها حوالي 40% من سكان السنغال. وبلغ تأثير أفلامه على الناس إلى درجة صدر أمر من الرئيس السنغالي نفسه عام 1977 بوضع أفلامه تحت مقص الرقابة، وصودرت بعض أفلامه، ولم تعرض حتى اليوم بعد 12 عاماً من رحيله.

ولعل أبرز أفلامه، هو: فيلم «جِنّي الغابة» الذي أخرجه عام 1971، ويصور مقاومة الكازامانسيين للمستعمر الفرنسي، بعد أن يستهدف الأخير مصدر قوتهم من الأرز.

أسس سمبين السينما الإفريقية عبر أفلامه وعبر مهرجانات ساهم في تأسيسها وتطويرها، مثل: مهرجان عموم إفريقيا للسينما والتلفزيون سنة 1972. فكان أول أفارقة جنوب الصحراء الذي يخوض في عالم السينما، وكاد أن يكون أول المخرجين السود لولا أوسكار ميشو الأمريكي «الذي أخرج أول أفلامه عام 1919».

مؤتمر الذكاء الاصطناعي في شانغهاي الصينية

تستعد بلدية شانغهاي شرقي الصين لاستضافة مؤتمر الذكاء الصناعي العالمي 2019 في أواخر شهر آب الحالي.

■ قاسيون

وفقاً لحكومة بلدية شانغهاي فإن المؤتمر المقرر عقده في الفترة ما بين 29 و31 آب، سيركز هذا العام على العالم الذكي المرتبط الذي يمكن من تطوير تكنولوجيا الذكاء الاصطناعية.

وسيشهد المؤتمر انعقاد منتديي قمة، حيث سيبحث المسؤولون الحكوميون ومندوبو المنظمات الدولية وعلماء رواد ورجال أعمال في تطوير صناعة الذكاء الاصطناعي لتحقيق تنمية عالية الجودة والتطبيق والحوكمة.

وسيشغل المؤتمر مساحة 17 ألف متر مربع لعرض تطبيقات إبداعية متعلقة بالإيكولوجيا الصناعية وتطبيق الذكاء الاصطناعي في المدن والقيادة الذاتية وتكنولوجيا أحدث. وسيشارك في المعرض حوالي 300 شركة، فيما يشكل 50 بالمائة من المتحدثين الضيوف من خارج الصين.

يذكر أن الصين قد استضافت الدورة الأولى لهذا المؤتمر في بلدية شانغهاي العام الماضي 2018، حيث جذب المؤتمر 200 ألف زائر و71 ألف ضيف جاؤوا من 40 دولة ومنطقة. وستنشئ شانغهاي 6 مناطق عرض للتطبيق الإبداعي لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي و60 من سيناريوهات تطبيق تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بحلول العام 2020.

وفي السياق نفسه، أكملت الطائرة الشمسية غير المأهولة «موزي 2» التي طورتها الصين، أول رحلة لها بنجاح في شانغهاي، وهي أول رحلة لطائرة صينية بدون طيار تعمل بالطاقة الشمسية. وأكدت وزارة العلوم والتكنولوجيا الصينية، إن تكنولوجيا تشخيصية جديدة طورها علماء صينيون لتحسين علاج مرض القلب التاجي، كما طورت الصين النموذج الرابع لطائرات سي 919 بعد اجتياز اختبارات نظام إلكترونيات الطيران وأداء الإقلاع والهبوط ونظام الطيران الأوتوماتيكي والأداء تحت الظروف الجليدية في شانغهاي.

بالإضافة إلى إعلان الصين خلال شهر تموز عن تطوير الأقمار الاصطناعية للاستشعار عن بعد، وإطلاق الصاروخ الحامل التجاري الخاص، وتوفير بيانات الأقمار الصناعية للمساعدة في الإغاثة من الفيضانات، وإطلاق قطار أنفاق من ألياف الكربون «مترو الأنفاق من الجيل القادم» لأول مرة في الصين، ويمكن توصيله بالأنترنت عبر لمس النافذة وتصل سرعة القطار الى 140 كيلومتر في الساعة.

أخبار ثقافية

400 أمريكي يحمون لوحات سوفييتية

تسبّبت لوحات جدارية، رسمها الفنان السوفييتي فيكتور أرناوتوف، بفضيحة في سان فرانسيسكو. وهو من تلاميذ الرسام دييغو ريفيرا. ورسم أرناوتوف هذه اللوحات خلال ثلاثينات القرن الماضي في مدرسة أمريكية، وتضمنت مشاهد من حياة جورج واشنطن، والعبيد الزنوج التابعين لأول رئيس للولايات المتحدة، بينما تظهر لوحة أخرى جثث هنود قُتلوا على أيدي المستعمرين البيض. واعتبر المجلس المحلي للمدينة، هذه الرسومات، غير لائقة ومهينة وتسيء إلى مشاعر التلاميذ، وطالب بإتلافها. بالمقابل، دافع أكثر من 400 عالم ومدرس أمريكي وغيرهم عن هذه الأعمال الفنية، وطالبوا بحمايتها.

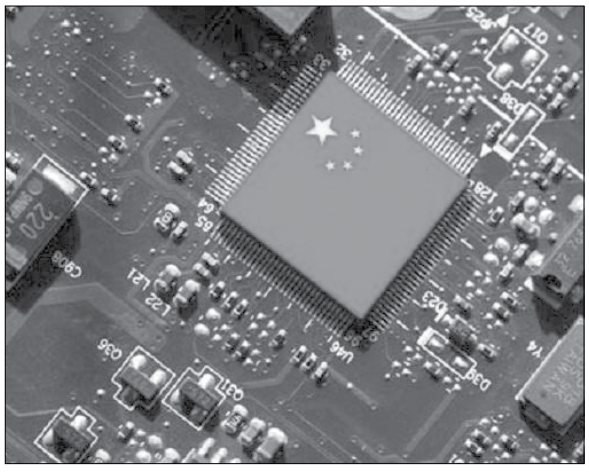

رقاقات صينية تعمل كالدماغ

طور علماء صينيون بنجاح رقاقة إلكترونية مبتكرة ودمجوها في دراجة أوتوماتيكية بدون راكب. ويمكن للدراجة اكتشاف الأهداف وتعقبها، وتجنب العقبات، وتحقيق التوازن الذاتي، وفهم الأوامر الصوتية، واتخاذ قرارات مستقلة نتيجة للمعالجة المتزامنة للرقاقة في خوارزميات ونماذج متعددة الاستخدامات. ونشر الإنجاز البحثي الذي نفذه شي لو بنغ وزملاؤه في مركز أبحاث الحوسبة المستوحاة من الدماغ في جامعة تسينغهوا، وتتبع طريقتان رئيستان لتطوير الذكاء العام الاصطناعي، إحداهما متجذرة في علم الأعصاب، ومحاولات بناء دوائر تحاكي الدماغ عن كثب، وتستند الأخرى إلى علوم الكمبيوتر، وتستخدم أجهزة الكمبيوتر لتنفيذ خوارزميات التعلم الآلي.

كانوا وكنا

تخبّئ مدينة حيفا ذكريات نضالية حاول الاحتلال مسحها وملاحقة الأراشيف القديمة وإتلافها. لكنه لم يستطع إتلاف أشياء كثيرة. حيفا هي مدينة أول صحيفة شيوعية في فلسطين، وهي مدينة المظاهرات والإضرابات العمالية والثورات الفلسطينية، في الصورة معتقلون فلسطينيون في معسكر اعتقال استعماري بريطاني في عام 1939، العام الأخير للثورة الفلسطينية الكبرى التي قدم فيها الفلسطينيون 5000 شهيد و15 ألف جريح و13 ألف معتقل، والتي لعب فيها المتطوعون السوريون دوراً كبيراً.

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجو الإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف
درعا	خالد الشرع	0968844820
السويداء	هاني خيزران	0952769397

دمشق وريفها	محمد عادل اللحام	0944484795
حمص	محمد زهري زهرة	0933145891
اللاذقية	صلاح طراف	0988386581

طرطوس	صلاح معنا	0999725141
حماة	أنور أبوحامضة	0933763888
دير الزور	زهير المشعان	0932801133

الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
حلب	جمال عبدو	0933796639
الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الأحد 2019/08/4» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18
قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 2011/12/03

أي إنسان على أعتاب العالم الجديد؟

عندما تشكل علم النفس كَعِلم، منذ ما يقرب القرن نفص القرن، كانت الرأسمالية في مرحلة توسعها العالمي، وكانت أشكال الاستغلال لا تزال مباشرة بقوة الحديد والنار حصراً ضد القوى المُستَغَلة. ولم تكن هناك حاجة لأدوات تضليل أو تلاعب بالوعي كما هي اليوم. وفي هذه الظروف تشكّل ما يسمى علم التحليل النفسي، الذي حصر موضوعه وقتها بالفئات البورجوازية، الأوروبية منها تحديداً. وعلى أساسه أفرزت مقولات الوعي واللاوعي، وحيث أعطي للاوعي تلك القدرة «الخفية» على التحكم بوعي الإنسان وسلوكه، وكون اللاوعي هو مكمن الطاقة الدافعة «ما سمي بالـ «هو»» التي تستعصي على القبض عليها من قبل الوعي و«الأنا» تحديداً.

■ محمد معوش

الصراع التاريخي وإفرازاته

بعد قرن من الزمن حصل انزياح كبير على مستوى الحاجات في المجتمع البشري نتيجة الصراع الطبقي العالمي، حيث تمكّنت الطبقات المسحوقة من انتزاع حقوق وتنازلات من النظام الرأسمالي، والتي شكلت نقطة علّامها الرشوة التاريخية في منتصف القرن الماضي. هذا الانحياز أدى إلى ظهور الحاجات المعنوية– النفسية في إطار الفئات الدنيا من المجتمع، وصار علم النفس السائد ومقولاته إحدى أدوات القمع والتضليل الجماهيري من جهة، ومن جهة أخرى صار أحد أهم العلوم الجذّابة التي تحاول الجماهير أن تجد فيها ما يحلّ أحجيات عقلها ونفسيتها، علّها تجد فيها إجابات على دواخلها المتصارعة والمتناقضة، وعلى حاجاتها المكبوحة بسبب بنية الاستغلال وعدم الإشباع والرضا في إطار علاقات رأس المال.

الوعي واللاوعي

إحدى أهم المقولات هي «أسطورة» اللاوعي التي يحاول عبرها الفكر السائد أن يزيد الغموض على الفكر الإنساني، وخصوصاً نزع «الإرادة الحرة» عن الإنسان. هذه القدرة التي لا يتملكها الإنسان حسب زعمهم إلا من خلال مشاعل «النور» الذين هم المعالجون النفسانيون، الذين يكشفون المستور من أغوار النفس الدفينة. ولكن ما لا يقوله العلم والفكر السائدان: أن هذا القسم من البنية النفسية المسمى باللاوعي ليس إلا انقساماً تاريخياً في البنية النفسية غير مطلق وغير أبدي. وليس إلا تعبيراً عن الانقسام التاريخي في المجتمع الطبقي. فالمجتمع الطبقي يقمع الحاجات الذاتية ولا يسمح بتحقيقها، ويسبب بكل أشكال الأذية النفسية الذاتية للإنسان، والتي يمكن تكثيفها بقانون التهميش والتغريب في المجتمع الرأسمالي. هذا القمع وهذه الأذية ضد حاجات الذات للتحقق والاعتراف بها هما مصدر كل الدوافع التي يشكل «اللاوعي» إطاراً لها. ولكن هذا لا يكفي لكي يحصل الانقسام بين وعي ولاوعي. لذلك فالعنصر الآخر هو: أن الفكر السائد وثقافته لا يملّك الفرد أدوات تفكير علمية قادرة على وعي حاجاته وأشكال تحقيقها الحقيقية الضرورية. لا بل على العكس، إن الفكر السائد وثقافته حسب التمايزات بين المجتمعات، إما ينتجان أفكاراً قامعة للحاجات الضرورية «الرجعية المحافظة والزّهد الطّهراني»، وإما يشوهان أشكال تحقق هذه الحاجات إذا لم يقدرا على القمع المباشر «الليبرالية والهستيريا والفراغ البارد الناجم عنها». لهذا يصبح الفرد حاملاً لأفكار معادية لذاته، ويتبلور هذا الانقسام فيه بين الضرورة الموضوعية التي تمثل حاجات التحقق الذاتية الطامحة للاعتراف، وبين مفهومه عن العالم وعن نفسه.

إن هذا القسم من البنية النفسية المسمى باللاوعي ليس إلا انقساماً تاريخياً في البنية النفسية غير مطلق وغير أبدي

انقسام قابل للحل

إن العيادات المليئة بالـ «مضطربين نفسياً» وملايين الكتب التي تتوجه إلى الجماهير تحت مواضيع نفسية «جذابة ومغرية»، وسوق حبوب وأدوية الأعصاب التي تشكل نسبة عالية من الأرباح لشركات الدواء، وآلاف الأفلام العالمية التي تتناول هذا الميدان، وعشرات ملايين حالات الاكتئاب والقلق، وعشرات آلاف المنتحرين، والباقين الغارقين في عدمية وانهيار معاني الوجود، كلها دليل على أن هذا الميدان هو تعبير جدّي عن عمق أزمة النموذج الرأسمالي. ولكنها أيضاً دليل على أن هذا الميدان أصبح في صلب أي برنامج يدعو إلى تغيير العلاقات الاجتماعية. التي عليها أن تطال كل هذه المعاناة، وأن تقدم بالملموس الإجابات عنها. وإذا ما عدنا إلى مقولة «اللاوعي»، فالطرح البديل والبرنامج البديل يضعان هذا الانقسام في البنية النفسية على طريق الحل. فإذا كانت القوى الثورية في القرن الماضي عليها أن تبث للناس قوانين الحركة السياسية والاقتصادية ومجمل قوانين الأحداث الاجتماعية لكي تملّكها واقعها، فإنه لزاماً عليها اليوم وبسبب الانزياح التاريخي والتطور في الحاجات أن تبث قوانين الوعي نفسها في تلاقيها مع القوانين الاجتماعية السياسية. هذا التدخل الواعي يحرر الفكر من كوابح أدوات التفكير السائدة المعادية التي ذكرناها أعلاه، ويوسع من قدرة القسم المفكر على تملك قوانينه نفسها. وبالتالي، من توسيع دائرة حريته، إذا ما قلنا إن الحرية هي وعي الضرورة.

وهذا التوسيع لدائرة حرية الفكر الفردي «الجماعي بالضرورة» سيعزز من إمكانية مواجهة الحرب التي يخوضها الفكر السائد من خلال أسلحته الفكرية والثقافية. وأكثر من ذلك، سيشكل تحول الفكر من خاضع لقوانين الذات «اللاواعية» إلى متملك لها، والتي إذا ما رُبط شكل تحققها بالتغيير الاجتماعي الذي هو شرط ضروري، حينها يتم إدخال قوى كبيرة إلى حلبة الصراع السياسي، التي لا تزال اليوم تتخبط إما في اضطرابها أو في سعيها العاجز عن التحقق.

علامات مبكرة

قال العديد من العلماء السوفييت: أن العالم الجديد هو أساس إزالة الانقسام الذي مزّق الإنسان داخلياً، وبهذا الكلام هم يعيدون كلام ماركس على أن العالم الجديد الاشتراكي على طريق الشيوعية هو عودة الإنسان إلى ذاته. ولهذا التحول مفاتيح معروفة: إشراك الجماهير في إدارة المجتمع من جهة، وإزالة العمل المأجور والتقسيم العالي للعمل، وأن يكون عمل الفرد شاملاً يعود بالنفع على المجتمع ككل، فتكون القيمة، ويكون الاعتراف.